المثل الكامل والإسوة الحسنة

سيرة النَّبيّ ﷺ في معاشرة نسائه

للعلامة

السيد محمَّد رشيد رضا

إعداد ودراسة وتحقيق

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

obeikandl.com

obeikandl.com

سيرة النَّبيّ ﷺ في معاشرة نسائه

كان رسولُ اللّه ﷺ المثل الكامل ، والأسوةَ الحسنةَ للرجال في حسن معاشرته أزواجه بالمعروف ، والقسمة بينهنَّ بالعدل في كل من المبيت ، والنفقة ، واللطف والتكريم ، وفي احتمال غضبهنَّ ، وغيرتهنَّ ، وتنازعهنَّ بالأناة والرفق ، والموعظة الحسنة . وكان يزورهنَّ كلهنَّ صباحًا للوعظ والتعليم ومساءًا للمجاملة والمؤانسة ، وكنَّ يجتمعن معه في بيت كل منهنَّ . وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده .

قالت عائشة : ما ضرب رسول اللّه ﷺ بيده امرأة له ولا خادمًا قط[١] .

وسُئلت : ما كان النَّبيّ ﷺ يصنع في أهله ؟

قالت : كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٢] .

ولها أحاديث أخرى مفصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه . ومن وصفها له : كان ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلّا أنّه كان بسامًا[٣] .

وكان ﷺ إذا أراد السفر ضربَ القرعةَ بينهنَّ ؛ إذ لا يمكنَّ السفر بهنَّ كلهنَّ ، وترجيح إحداهنَّ يسخط سائرهنَّ ، وإن كان فيها من المرجحات ما يقتضي الترجيح إذ لا يتساوى النساء في استعدادهنَّ للسفر ومشقاته ، ولكنه لمَّا حج أخذهنَّ كلهنَّ معه .

ولمَّا مرض مرضه الأخير شق عليه أن يتنقل بين بيوتهنَّ كل يوم كما كان يفعل في حال صحته فكان يسأل « أين أنا غدًا ؟ أين أنا غدًا ؟ » . يريد

---

(١) رواه ابن ماجة [١٩٨٤] وقال الألباني في صحيح ابن ماجة [١٦١٤] : صحيح .

(٢) أخرجه البخاري [٦٠٣٩] ، والمِهنة بكسر الميم وبفتحها « الخدمة » .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١/ ٣٦٥] .

يوم عائشة فأذن له أزواجه كلهنّ أن يكونَ حيثُ شاء ، فاختار بيتَ عائشة وفيه تُوفي[١] .

ورُوِيَ عنها أنّه بعث في مرضه إلى نسائه فاجتمعن فقال : « إني لا أستطيع أن أدور بينكنّ فإنْ رأيتنّ أن تأذن لي أن أكون عند عائشة » فأذن له[٢] ، ومن حكمة ذلك أن يدفن في بيتها ، وقد كان صرح بأنه يدفن حيث يموت[٣] .

ولمّا كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبغي رضاء رسول اللّه ﷺ عنها[٤] وفي رواية عنها : كان رسول اللّه ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلّا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتّى يبلغ إلى الّتي هو يومها فيبيت عندها[٥] .

ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفَرَقَتْ - أي : خافت - أن يفارقها رسول اللّه ﷺ : يا رسول اللّه يومي لعائشة . فقبل رسول اللّه ذلك منها[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري [٥٢١٧] عن عائشة رضي اللّه تعالى عنها .

(٢) رواه أبو داود [٢١٣٧] ، وقال الألباني في صحيح أبي داود [١٨٧٠] : صحيح .

(٣) عن عائشة رضي اللّه تعالى عنها قالت : لمّا قُبِض رسول اللّه ﷺ اختلفوا في دَفنِهِ . فقال أبو بكر : سمعت من رسول اللّه ﷺ شيئاً ما نَسِيتهُ ، قال : « ما قَبَضَ اللّه نبياً إلّا في الموضع الّذي يُحب أن يُدْفَنَ فيه » ، ادفنوه في موضع فراشه .
رواه الترمذي [١٠١٨] ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة [٧/ ٢٦١] ، وفي كنز العمال [١٨٧٦٤] . وقال الشيخ الألباني في صحيح الترمذي : صحيح .

(٤) أخرجه البخاري [٥٢١٢] عن عائشة رضي اللّه تعالى عنها .

(٥) انظر الصحيحة [١٤٧٩] ، والإرواء [٧/ ٨٣] .

(٦) رواه أحمد في المسند [٦/ ١٠٨] مختصرًا ، وأبو داود [٢١٣٥] وفيه زيادة رأى عائشة أنّه نزل في هذه وأشباهها : ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ وصححه الألباني في صحيح أبي داود [١٨٦٨] ، وقال : حديث حسن صحيح .
وفي رواية عند ابن سعد أنّه فارقها فناشدته أن يمسكها وقالت : إنّه ليس لها في الرجال حاجة وإنّما تريد أن تكون معه في الجنة . ولكنّ هذه الرواية مرسلة .

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما من قلب رسول الله ﷺ ما لم يكنَّ لأحد من نسائه بعد خديجة رضي الله تعالى عنها ، فكانت الحبيبة بنت الحبيب ، وكانت هي أكثرهنَّ إدلالاً عليه .

وفي الصحيحين عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « إني لأعلم إذا كنت راضية عني وإذا كنت عليَّ غضبي »[١] .

فقلت : من أين تعرف ذلك ؟

قال : « أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمَّد ، وإذا كنت غضبي ، قلت : لا ورب إبراهيم » .

قلت : أجل والله يارسول الله ما أهجر إلَّا اسمك .

وكان هذا الحب الطبيعي الّذي تعددت أسبابه أعظم دليل على عدله ﷺ بين أزواجه ، فهو لم يكنَّ يفضلها على أقلهنَّ مزايا في الخلق والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة ، ولذلك كان يقول في قسمه بينهنَّ بالعدل : « اللَّهمَّ هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »[٢] .

يعني الحب ولوازمه الطبيعية غير الاختيارية . وما ابتلى الرجال بشيء أبعث على الجور والمحاباة كفتنة حب النساء ، فإنَّ الرجل الضعيف الدين والإرادة ليظلم أولاده ونفسه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية فكيف لا يظلم ضرتها ؟ !

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري [٥٢٢٨] ، ومسلم [٨٠/ ٢٤٣٩] .

(٢) رواه أبو داود [٢١٣٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، وقال الألباني في ضعيف أبي داود [٤٦٧] : ضعيف .

obeikandl.com

تغاير نسائه ﷺ
وتحزبهن ومناشدتهنَّ إياه العدل

لمَّا كان من طباع البشر أن العدل بينهم يغريهم بالمطالبة بأكثر من حقوقهم ، والظلم يسكنهم على ما دونها ولا سيما النساء ، ورأي نساء النَّبيّ ﷺ أنَّه لا يفضل إحداهنَّ على غيرها بشيء ما . إلَّا أن الناس يتحرون بهداياهم له يوم عائشة .

رأين أن في هذا هضمًا لحقوقهنَّ وكرامتهنَّ ، وإن كان هذا الهضم ليس من فعله ﷺ وكان ينالهنَّ من الهدايا كلهنَّ ، فطالبنه بإنصافهنَّ ، وأغلظن في المطالبة وألححن حتَّى أسكتهنَّ بما بكرهنَّ .

قالت عائشة : إن نساء رسول الله ﷺ كنَّ حزبين :

فحزب فيه : عائشة وحفصة وصفيَّة وسودة .

والحزب الآخر : أم سلمة وسائر نساء النَّبيّ ﷺ .

وكان المسلمون قد علموا حبَ رسول الله عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخَّرها حتَّى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحبُ الهديةِ بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فكلم حزب أمِّ سلمة أمَّ سلمة فقلن لها : كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه .

فكلمته أمُّ سلمة بما قلن ، فلم يقل لها شيئًا .

فسألنها ، فقالت : ما قال لي شيئًا .

فقلن لها : كلميه .

قالت : فكلمته حين دار إليها أيضًا فلم يقل لها شيئًا .

فسألنها ، فقالت : ما قال لي شيئا .

فقلن لها : كلميه حتّى يكلمك فدار إليها فكلمته .

فقال لها : لا تؤذيني في عائشة ؛ فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة .

قالت : فقلت أتوبُ إلى اللّه من أذاك يا رسول اللّه .

ثم إنَّهنَّ دعون فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ فأرسلت إلى رسول اللّه ﷺ تقول : إن نساءك يناشدنك اللّه العدل في بنت أبي بكر . فكلمته ، فقال : « يا بنية ألا تحبين ما أحب ؟ »

قالت : بلى .

فرجعت إليهنَّ فأخبرتهنَّ .

فقلن : ارجعي إليه فأبت أن ترجع .

فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت ابن أبي قحافة .

فرفعت صوتها حتّى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها ، حتّى إن رسول اللّه لينظر إلى عائشة هل تكلّم ؟

فتكلمت عائشة ترد على زينب حتّى أسكتتها قالت : فنظر النَّبيّ ﷺ إلى عائشة وقال : « إنها بنت أبي بكر »[1] .

يعني أنّها مثل أبيها في الذكاء والعقل والحجة .

ورواية مسلم عنها : أرسل أزواج النَّبيّ ﷺ فاطمة بنت رسول

---

(١) أخرجه البخاري [٢٥١٨] .

قوله : « فقال : إنها بنت أبي بكر » أي إنّها شريفة عاقلة عارفة كأبيها ، وكذا في رواية مسلم ، وفي رواية النسائي المذكورة « فرأيت وجهه يتهلل » وكأنه ﷺ أشار إلى أن أبا بكر كان عالماً بمناقب مضر ومثالبها فلا يستغرب من بنته تلقى ذلك عنه « ومن يشابه أباه فما ظلم » . وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة ، وأنه لا حرج على المرء في إيثار بعض نسائه بالتحف ، وإنّما اللازم العدل في المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة ، كذا قرره ابن بطال عن المهلب ، وتعقبه ابن المنير .

الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها فقالت : يارسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة - وأنا ساكتة - فقال لها رسول الله ﷺ : « أي بنية : ألست تحبين ما أحب ؟ » قالت : بلى ، قال : « فأحبي هذه » فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج رسول الله ﷺ فأخبرتهنّ بالّذي قال رسول الله ﷺ فقلن : ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له : إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت : والله لا أكلمه فيها أبدًا .

قالت : فأرسل أزواج النّبيّ ﷺ زينب بنت جحش وهي الّتي كانت تساميني منهنّ في المنزلة عند النّبيّ ﷺ ولم أر قط امرأةً خيرًا في الدين من زينب ، وأتقي لله ، وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الّذي تصدق به وتتقرب به إلى الله تعالى . ما عدا سورة من حدّة [1] فيها كانت تسرع منها الفيئة - أي الرجعة إلى الحلم - . . . إلخ [2] .

ولها مع زينب مهاترة أخرى ذكرها أنس ملخصها :

أن نساء النّبيّ كنّ يجتمعن كل ليلة في بيت صاحبة النوبة منهنّ ، فدخلت زينب بيت عائشة فمد إليها النّبيّ ﷺ يده . فقالت عائشة : إنّها زينب فكف النّبيّ ﷺ يده فتقاولتا حتّى ارتفعت أصواتهما فمر أبو بكر فسمعهما فقال : يا رسول الله أخثُ في أفواههنّ التراب . وجاءت الصلاة فخرج ﷺ ولم يكلمهما ولكنّ أبا بكر عاد بعد الصلاة فعنف عائشة [3]

---

(١) هي شدة الخُلق وثورانه . النهاية في غريب الحديث والأثر [٢/ ٤٢٠] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٤٢/ ٨٣] .

(٣) أخرج مسلم [١٤٦٢/ ٢٦] من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان للنبي ﷺ تسعُ نسوة ، فكان إذا قسم بينهنّ لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلّا في تسع . فكنّ يجتمعْنَ كل ليلة في بيت التي يأتيها . فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها ، فقالت : =

وهو المشهور بالحلم ، وأين حلمه من حلم رسول الله ﷺ .

۞ ۞ ۞

= هذه زينب . فكف النبيّ ﷺ يده ، فتقاولتا حتّى استخبتا [١] ، وأقيمت الصلاة فمر أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهما ، فقال : اخرج يا رسول الله إلى الصلاة ، واحثُ في أفواههنّ التراب . فخرج النبيّ ﷺ ، فقالت عائشة : الآن يقضي النبيّ ﷺ صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل ، فلمّا قضى النبيّ ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديدًا ، وقال : أتصنعين هذا ؟

(١) السخب : وفي لغة الصخب ، والسخب والصخب بمعنى : الصياح .
لسان العرب [١/ ٤٦٢] بتصرف .

obeikandl.com

غيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهنَّ فيها

الغيرة الزوجية غريزة ، أو عاطفة في الرجال والنساء ، وهي فيهنَّ أشد ولا سيما إذا تعددن عند الرجل ، وكان يحابي بعضهنَّ على بعض ، ولئن كان أزواج النَّبيّ ﷺ كلهنَّ يغرن من عائشة لعلمهنَّ بأنها أحب إليه ، فلهي كانت أشدهنَّ غيرة عليه ؛ حتَّى كانت تغار من خديجة زوجه قبلها وهي لم ترها كما تقدم ، فكانت على شدة ما ترى من عدله ومساواته بين نسائه تطيع ما يوسوس إليها الشيطان إذا خرج من عندها في ليلتها أنَّه يذهب إلى غيرها ، حتَّى تبعته مرة من حيث لا يشعر فإذا هو قد ذهب إلى البقيع - مقبرة المدينة - يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، قالت : فقلت بأبي أنت وأمي : أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا . فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول اللَّه ﷺ فقال : « ما هذا النفس يا عائشة ؟ » فقالت : بأبي وأمي أتيتني فوضعت ثوبيك ثُمَّ لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتَّى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع « فقال ﷺ : « يا عائشة أكنتِ تخافين أن يحيفَ اللَّهُ عليك ورسولهُ »[1] .

---

(١) أخرج مسلم [١٠٣/ ٩٧٤] من حديث مخرمة بن المطلب يروى عن عائشة قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول اللَّه ﷺ ؟ قلنا : بلى . قالت : لمَّا كانت ليلتي التي كان النَّبيّ ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع . فلم يلبث إلَّا ريثما ظن أني قد رقدت ، فأخذ رداءه رويدًا ، وانتعل رويدًا ، وفتح الباب فخرج ثُمَّ أجافه رويدًا . فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثُمَّ انطلقت على إثره حتَّى جاء البقيع ؛ فقام فأطال القيام ثُمَّ رفع يديه ثلاث مرات ثُمَّ انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته فدخلت ، =

وخرج مرة قالت : فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه ؛ فجاء فرأي ما أصنع ، فقال ﷺ : « أغرت ؟ » فقلت : وهل مثلي لا يغار على مثلك ؟ فقال ﷺ : « لقد جاءك شيطانك » ، قلت : أومعي شيطان ؟ قال ﷺ : « نعم » ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال ﷺ : « نعم » قلت : ومعك ، قال ﷺ : « نعم ولكنَّ ربي أعانني عليه حتَّى أسلم »[(١)] يعني أنني أسلم من طاعة وسوسته ، أو هو أسلم فلا يأمر بشر .

وقالت : ما رأيت صانعة طعام مثل صفيَّة ؛ صنعت لرسول اللَّه ﷺ طعامًا وهو في بيتي فأخذني أفكَل - هو بالفتح الرعدة والقشعريرة - فارتعدت من شدة الغيرة ، فكسرت الإناء ثُمَّ ندمت . فقلت يا رسول اللَّه : ما كفارة ما صنعت ؟ قال ﷺ : « إناء مثل إناء وطعام مثل طعام »[(٢)] .

وقالت تعيب صفيَّة لتغيرها منها : يا رسول اللَّه حسبك من صفيَّة قصرها .

فقال لها ﷺ : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته »[(٣)] ، أي أن كلمتها في قبحها وخبثها لو ألقيت في البحر لأثرت فيه كله وخبث بها .

= فلبس إلَّا أن اضطجعت فدخل . فقال : « مالك يا عائشة حشْيَا رابِيَة ؟! »[(١)] .

قلت : لا شيء . قال : « لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير » .

قلت : يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي . فأخبرته .

قال : « فأنت السواد الَّذي رأيت أمامي » .

قالت : نعم .

فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ، ثُمَّ قال : « أظننت أن يحيف اللَّه عليك ورسوله ؟! »

قالت : مهما يكتم الناس يعلمه اللَّه ، نعم . . . إلخ .

(١) أخرجه مسلم [٢٨١٥/٧٠] .

(٢) رواه أبو داود [٣٥٦٨] ، وقال الألباني في ضعيف أبي داود [٧٦٢] : ضعيف .

(٣) رواه أبو داود [٤٨٧٥] ، وقال الألباني في صحيح أبي داود [٤٠٨٠] : صحيح .

---

(١) حشْيَا رابِيَة : أي مالك قد وقع عليك الحشي وهو الرّبو ، والبُهر ، والتهيج الَّذي يعرض للمسرع في مشيه ، والمُحْتَد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره .

لسان العرب [١٤/١٧٩] .

openkandi.com

تواطؤ أزواجه
رضي الله تعالى عنهن
وتظاهرُهنَّ على الكيد له ﷺ

شرب مرة عسلاً عند زينب كان - أهدي إليها - وكان يحبه فأغرت عائشة به جميع نسائه ، فتظاهرن على الكيد له حتَّى لا يعود إلى شرب العسل عندها ؛ بأن تواطأن على أن ينكرن رائحته ممَّا شرب ففعلنَّ ، وكان شديد الكراهة للرائحة الخبيثة فامتنع من شرب ذلك العسل عندها وحرمه على نفسه ، فلمَّا علم بكيدهنَّ وكذبهنَّ عليه غضب عليهنَّ كلهنَّ [١] .

وتواطأت عائشة مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية ، وكان سببه غضب حفصة لاجتماعه بها في بيتها فاسترضاها بتحريمها عليه ، وأمرها أن تكتم الخبر فأفشته لعائشة . وروي أنَّه أسر إليها حديثًا آخر في مسألة الخلافة وتظاهرتا - أي تعاونتا - عليه في ذلك ، وفيهما نزل قوله تعالى معاتبًا له ومنذرًا لهنَّ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ [التحريم] .

---

(١) أخرجه البخاري [٥٢٦٧] ، ومسلم [١٤٧٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

حاصل معنى الآيات ؛ أنّه لا ينبغي لك أيها النَّبيّ أن تبالغ في مرضاة أزواجك فتبلغ منها أن تحرم لأجلهنَّ ما أحل اللّه لك ، واللّه غفور رحيم ، غَفرَ لك هذه فلا تَعُودن إلى مثلها .

وأن اللّه قد شرع لكم كفارة أيمانكم ومنها يمين تحريم المرأة أو الأمة . فهو كاليمين باللّه تعالى - أي يكفره إطعام عشرة مساكين مرة واحدة ، أو كسوة كل منهم ثوبًا أو عتق رقبة ، فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو مخير فيها ، فصيام ثلاثة أيام .

واللّه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأفعالكم ونياتكم فيها ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ بما يشرعه لكم فيما يعرض لكم من مقتضى الطباع البشرية فيربيكم به ويزكيكم . ثُمَّ ذكر ذنب الّتي أفشت سره ﷺ وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة ، وليس تفصيله من موضوع هذه الرسالة ، وأرشدها هي والّتي أفشت لها السر وهي عائشة إلى التوبة من ذنبهما وما صغت - أي مالت - إليه قلوبهما ، ووافق أهواءهما من تلك الواقعة ، وأنذرهما إن أصرتا على التظاهر أي التعاون والتمالؤ على الرسول ﷺ بأن اللّه هو مولاه الّذي ينصره ويتولاه في كل أمر ، وكذلك جبريل وصالح المؤمنين ، والمراد بهم هنا أبواهما أبو بكر وعمر رضي اللّه تعالى عنهما ، والملائكة بعد ذلك كله يظاهرونه ويؤيدونه ﷺ ثُمَّ هددهما بأن الرسول ﷺ إذا طلقهما هما وسائر أزواجه المتحزبات عليه ؛ فإنَّ اللّه يبدله خيراً منهنَّ ، في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات الكمال ، ولو كان ﷺ يهمه التمتع الجسدي لوصف اللّه البدل بصفات الحسن والجمال ، ولكنه لم يكنَّ يحفل به ، ولو لم يكنَّ نقصًا في نفسه .

❁❁❁

غضبه ﷺ على أزواجه
وإيلاؤه منهنَّ شهراً وتخييره إيّاهنَّ بين الطلاق
وبقاء الزوجية المُرضية للّه ولرسوله

علمنا من الشواهد الصحيحة ، الّتي رويناها في حسن عشرة النّبيّ ﷺ لأزواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم ولطف ، وصبر على تغايرهنَّ وائتمارهنَّ ، ليكون أسوة حسنة لرجال أمته ولا سيما المهاجرين في ذلك .

علمنا أنّه آل أمرهنَّ إلى الائتمار بينهنَّ ، والتظاهر عليه ، واستباحة الكذب ، وإفشاء السر ، وكدن يكُنَّ أسوة سيئة لنساء المؤمنين ، على خلاف ما يراد من تربية الرسول لهنَّ ليكُنَّ قدوة صالحة .

وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال ؛ إذ زادت جرأتهنَّ عليهم ؛ بتأثير ما أعطاهنَّ الإسلام من الحقوق وما أوصى بهنَّ النّبيّ ﷺ من التكريم حتّى إنّه قد اجتمع عند نسائه ﷺ مرة سبعون امرأة كلّ تشكو زوجها ، فلمّا انتهى نساؤه إلى هذا الحد ، مع العدل الكامل ، واللطف الشامل ، غضب غضبة الحليم ، وحلف ألا يقربهنَّ شهراً ، واعتزلهنَّ كلهنَّ ؛ تربية لهنَّ . ولا تتم التربية إلّا بوضع الحلم موضعه والغضب في موضعه .

وأستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلفه هذا بما فيه زيادة البيان ، لمّا كان عليه حال النساء في أول الإسلام ، وأبدأ بسياق مسلم فأقول :

روى مسلم في صحيحه أن عبد اللّه بن عباس قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله ؛ هيبةً له » .

حتى خرج حاجًا فخرجت معه ، فلمّا رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، فوقفت له حتّى فرغ ثُمّ سرت معه فقلت يا أمير

المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه ؟

فقال : تلك حفصة وعائشة .

قال فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع ؛ هيبة لك .

قال : فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم ، فسلني عنه ، فإنْ كنت أعلمه أخبرتك .

قال : وقال عمر : والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتّى أنزل الله تعالى فيهنّ ما أنزل ، وقسم لهنّ ما قسم . قال : فبينما أنا في أمر آتمره إذ قالت لي امرأتي : لو صنعت كذا وكذا ، فقلت لها : ومالك أنت ولمّا ههنا ؟ وما تكلفك في أمر أريده ، فقالت لي : عجبًا لك يا ابن الخطاب ، ما تريد أن تُراجع أنت ، وإنّ ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتّى يظل يومه غضبان .

قال عمر : فآخذ ردائي ثُمّ أخرج من مكاني حتّى أدخل على حفصة ، فقلت لها : يا بنية ، إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتّى يظل يومه غضبان !

فقالت حفصة : والله إنا لنراجعه ، فقلت : تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله . يا بنية لا يغرنك هذه الّتي قد أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها ، ثُمّ خرجت حتّى أدخل على أم سلمة ، لقرابتي منها ، فكلمتها فقالت لي أم سلمة : عجبًا لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتّى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه ! قال : فأخذتني أخذاً كَسرتني عن بعض ما كنت أجد[1] فخرجت من عندها .

« هذه مقدمة مسلم لحديث عمر ، وأذكر تتمته من رواية البخاري عنه » .

قال : ثُمّ استقبل عمر الحديث يسوقه قال : « كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول

(١) أي كسرت ما أجده في نفسي ودفعتني عنه حتّى لم أقله لها ، وفي رواية لابن سعد : أنها قالت له : « أي والله إنا لنكلمه فإنْ تحمل ذلك فهو أولى به وإن نهانا عنه كان أطوع عندنا منك » .

على النَّبيّ ﷺ فينزل يومًا وأنزل يومًا ، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك . وكنا معشر قريش نغلب النساء [1] ، فلمَّا قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصخبت على امرأتي فراجعتني ، فأنكرت أن تراجعني .

قالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النَّبيّ ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهنَّ لتهجره اليوم حتَّى اللَّيل .

فأفزعني ذلك وقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثُمَّ جمعت عليَّ ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها : أي حفصة ، أتغاضب إحداكنَّ النَّبيّ ﷺ اليوم حتَّى اللَّيل ؟

قالت : نعم .

فقلت : قد خِبتِ وخَسرتِ ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي ، لا تستكثري النَّبيّ ﷺ [2] ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النَّبيّ ﷺ ، يريد : عائشة .

قال عمر : « وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ، فرجع إلينا عشاءًا ، فضرب بابي ضرباً شديدًا ، وقال : أثم ؟ ففزعت فخرجت إليه .

فقال : قد حدث اليوم أمرٌ عظيم .

قلت : ما هو أجاء غسانُ ؟

---

(١) وفي رواية : « كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلَّا إذا كانت له حاجة » . وفي رواية : كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهنَّ في أمورنا . هذا وقد قال النَّبيّ ﷺ : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش : أحناه على ولد - وفي رواية يتيم - في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده » . رواه البخاري [٥٠٨٢] ، ومسلم [٢٥٢٧/ ٢٠٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وتذكير الفعل وإفراده فيه مسموع .

(٢) أي لا تطلبي منه الشيء الكثير .

قال : لا . بل أعظم من ذلك وأهول ، طلق النَّبيّ ﷺ نساءه .

فقلت : خابت حفصةُ وخسرت ، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون ، فجمعت عليَّ ثيابي ، فصليت صلاة الفجر مع النَّبيّ ﷺ فدخل النَّبيّ ﷺ مشرُبة له[1] فاعتزل فيها ، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ ألم أكنَّ حذرتك هذا ؟ أطلقكنَّ النَّبيّ ﷺ ؟

قالت : لا أدرى ، ها هو ذا معتزل في المشرُبة ، فخرجت فجئت إلى المنبر ؛ فإذا حولَه رهط يبكي بعضُهم ، فجلست معهم قليلاً ، ثُمَّ غلبني ما أجد فجئت المشرُبة الّتي فيها النَّبيّ ﷺ .

فقلت لغلام له أسود : استأذن لعمر ، فدخل الغلامُ ، ثُمَّ كلم النَّبيّ ﷺ ، ثُمَّ رجع .

فقال : كلمتُ النَّبيّ ﷺ وذكرتكَ له فصمتُ .

فانصرفت حتَّى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثُمَّ غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام : استأذن لعمر .

فدخل ثُمَّ رجع فقال : قد ذكرتك له فصمت .

فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثُمَّ غلبني ما أجد ، فجئت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر .

فدخل ثُمَّ رجع إلى فقال : قد ذكرتك له فصمت .

فلمَّا وليت منصرفًا ، قال : إذا الغلام يدعوني ، فقال : قد أذن لك النَّبيّ ﷺ فدخلت على رسول اللّه ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير[2] ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه مُتكئًا على وسادة من أدم حشوها ليفاً ، فسلمت عليه ثُمَّ قلت - وأنا قائم - : يا رسول اللّه أطلقت نساءك ؟ فرفع إليَّ بصره فقال : « لا » .

---

(١) المشربة بضم الراء : الغرفة أو العلية .

(٢) وفي رواية رمال سرير ، والرمال اسم لضلوع الحصير التى ينسج بها فتكون متداخلة كالخيوط في الثوب .

لسان العرب [١١/ ٢٩٥] .

فقلت : الله أكبر ، ثُمَّ قلت - وأنا قائم - : أستأنس يا رسول الله ، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلمَّا قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم .

فتبسم النَّبيّ ﷺ .

ثم قلت : يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النَّبيّ ﷺ - يريد عائشة - .

فتبسم النَّبيّ ﷺ تبسمة أخرى .

فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيتُ في بيته شيئًا يردُ البصر غير أهبة ثلاثة[١] .

فقلت : يا رسول الله ادعُ الله فليوسع على أمتك ؛ فإنَّ فارسًا والروم قد وسِّع عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله[٢] .

فجلس النَّبيّ ﷺ وكان متكئًا فقال : « أو في هذا أنت يا ابن الخطاب ؟ إن أولئك قوم عُجِلوا طيباتهم في الدنيا » .

فقلت : يا رسول الله استغفر لي . فاعتزل النَّبيّ ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة وكان قال : « ما أنا بداخل شهراً » من شدة موجدته عليهنَّ حين عاتبه الله تعالى[٣] ، قالت عائشة : ثُمَّ أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأني أول امرأة من نسائه فاخترته ثُمَّ خيَّر نساءه كُلهنَّ فقلنَ مثل ما قالت عائشة »[٤] .

---

(١) الأهبة بفتحتين وبضمتين أيضًا الجلود مدبوغة أولاً . واحدها إهاب .
النهاية في غريب الحديث والأثر [١/ ٨٣] .

(٢) وفي رواية « فبكيت فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلَّا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الأنهار والثمار وأنت رسول الله وصفوته » وأما الَّذي رآه في خزانته فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة . والقرظ حب شجر يدبغ به الجلود .

(٣) مجموع روايات أخرجها البخاري [٤٩١٣-٤٩١٥] ، ومسلم [١٤٧٩/ ٣٠-٣٤] .

(٤) أخرج البخاري [٤٧٨٦] من حديث عائشة قالت : لمَّا أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : « إني ذاكرٌ لك أمرًا ، فلا عليك أن لا تعجلي حتَّى تستأمري أبويك » . =

اتفقت الروايات على أن تخيير النَّبيّ ﷺ أزواجه بين تطليقهنّ وإبقائهنّ على عصمته على الوجه الّذي يريده منهنّ ، وهو أن يكنّ قدوة صالحة للنساء في الدين كان بعد حادثة غضبه وهجره لهنّ شهراً ثُمّ رضاه عنهنّ ، وقد صح أنّه حدث في أثناء ذلك سبب آخر للتخيير ، وهو إلحافهنّ بطلب التوسعة في النفقة والزينة .

❁ ❁ ❁

= قالت : وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه . قالت : ثُمّ قال : « إن الله جلّ ثناؤه قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب] .

قالت : فقلت : ففي أي هذا أستأمر أبوى ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . قالت : ثُمّ فعل أزواج النَّبيّ ﷺ مثل ما فعلت .

obeikandl.com

مطالبة أزواجه ﷺ إيّاه بسعة النفقة والزينة

كان من السهل على النّبيّ ﷺ أن يعيش مع نسائه عيشة الترف والنعمة ، وأن يمتعهنّ بما أحببن من اللباس ، والحلى ، والزينة ، بما كان له من الحق في خُمس الغنيمة ، ومنها غنائم بني النضير ، ثُمّ بما كان له من الأرض في خيبر ، وكانت غاية توسعته عليهنّ إعطاءَهنّ مئونة سنة كاملة من التمر والشعير الّذي كان يُتخذ منه الخبز في الغالب ، وكان ربّما يتصدق ببعض ما آتاهنّ أو به كله إذا وجد من هو أحوج إليه من الفقراء ، بل ذبح مرة شاة فتصدق بها كلها فقالت له عائشة : هلا أبقيت لنا قطعة منها نفطر عليها ؟ فقال : « لو ذكرتني لفعلت »[(١)] .

وقد وقع لها بعده مثل ذلك بعينه فقالت لها مولاة لها كما قالت هي للنبي ﷺ وأجابتها بما أجابها به فهذه هي التربية المحمّدية لأمهات المؤمنين ، ولو اتبع أهواءهنّ في الترف والزينة والأمة في طور التأسيس ، لعد من فضائل الدين ، على ذم القرآن للمترفين المسرفين .

ولقد بشر النّبيّ ﷺ أصحابه بفتح بلاد الشام ، والفرس ، ومصر والاستيلاء على خزائن كسرى وقيصر والسيادة فيها وفي غيرها من الأرض ، وحذرهم من الإسراف فيما أباح اللّه لهم في كتابه من الزينة والطيبات ، وقال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[(٢)] .

---

(١) روى الترمذى [٢٤٧٠] عن عائشة رضي اللّه تعالى عنها : أنّهم ذبحوا شاة ، فقال النّبيّ ﷺ : « ما بقي منها ؟ » قالت : ما بقي منها إلّا كتفها . قال : « بقي كلها غير كتفها » . قال الألباني في صحيح الترمذي [٢٠٠٩] : صحيح .

(٢) أخرجه البخاري [٥٠٩٦] ، ومسلم [٢٧٤٠/ ٩٧] عن أسامة بن زيد رضي اللّه تعالى عنهما .

ومن هذه الفتنة : أنَّهنَّ الداعيات إلى الإسراف في النفقة والزينة ، فلمَّا أراد نساؤه ذلك جعل اللَّه تعالى له مخرجًا منه ؛ بتخييرهنَّ بين بقائهنَّ على عصمته إيثارًا لحظ الآخرة ، وبين تمتيعه لهنَّ بما يطالبن مع طلاقه لهنَّ وتسريحه لهنَّ بإحسان ، إيثارًا منهنَّ لمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، فلو أن نساء النَّبيّ ﷺ غلب عليهنَّ التمتع بالنعمة ، والزينة ، والترف لاقتدى بهنَّ جميع النساء من ذلك العهد ، ولمَّا استطاع الرجال صرفهنَّ عنه ، ولمَّا قامت للأمة قائمة ، فإنَّ الإسراف في الترف والزينة يهلك الأمم الغنية ، فكيف تقوى بها الأمم الفقيرة ؟ أم كيف يمكنُّ أن تؤسس أمة قوية ، عزيزة ، مُصلحة لفساد البشر وظلمهم ؛ بتنشئتها على التنافس في الشهوات والزينة ؟ !

وإنَّما أباح اللَّه الزينة والطيبات في حال السعة والثروة ، وبدون إسراف ولا بطر ولا مخيلة ، والغرض من كثرة أزواجه ، أن يكنَّ قدوة للنساء في الفضائل النسائية ، كما أنَّه هو القدوة العليا ، والأسوة الحسنة للأمة كلها في معاملة النساء وفي سائر الأمور ، وملاك ذلك كله إيثار سعادة الآخرة على متاع الدنيا .

❁❁❁

obeikandl.com

تخييره ﷺ
لأزواجه بين الدنيا والآخرة

قد ثبت أنَّه كان لهذا التخيير سببان :

أحدهما : غضبه وموجدته عليهنَّ فيما كان من تظاهرهنَّ عليه ، وقد ذكرنا أصح الروايات فيه .

والآخر : هو مطالبتهنَّ له بالتوسع في النفقة والزينة وهو ما دلت عليه الآية الأولى من آيتى التخيير الآتيتين ، وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن من ذلك .

وإنني أختار من الروايات الصريحة فيه حديث جابر من صحيح مسلم وهذا نصه :

عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأُذن لأبي بكر فدخل . ثُمَّ أقبل عمر فاستأذن فأُذن له . فوجد النَّبيّ ﷺ جالساً حوله نساؤه واجمًا ساكتًا ، قال :

فقال : لأقولن شيئًا أضحك النَّبيّ ﷺ

فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوَجَأتُ عنقها[1] .

فضحك رسول الله ﷺ وقال : « هنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة » .

فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأُ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يَجَأُ عنقها .

---

(١) بنت خارجة زوجته ، ووجأ عنقها لكزه بجميع يده أو لواه إظهارًا للإنكار لا لأجل الإيلام .

كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده . فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده .

ثم اعتزلهنَّ شهرًا أو تسعًا وعشرين . ثُمَّ نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

قال : فبدأ بعائشة ، فقال : « يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتّى تستشيري أبويك » .

قالت : وما هو يا رسول الله ؟

فتلا عليها الآية .

قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ ! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت .

قال : لا تسألني امرأة منهنَّ إلَّا أخبرتها ، إنَّ الله لم يبعثني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا ، ولكنَّ بعثني معلماً ميسراً (١) .

ثم خيرهنَّ كلهنَّ فاخترن ما هو خير لهنَّ ، اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وهذا نص آيتى التخيير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب] .

خلاصة معنى الآيتين : قل لهن إن كنتنَّ تردن من حياتكنَّ الزوجية حظوظ الدنيا ، وشهواتها ، وزينتها فإنني لم أبعث لذلك ، ولا تزوجتكنَّ لذلك ، فتعالين أعطكنَّ المتعة المالية الّتي شرعها الله للمطلقات ، وأسرحكنَّ إلى أهليكنَّ سراحاً جميلاً لا إهانة فيه ولا إساءة كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته لعدم استطاعته أن يعيش معها عيشة راضية مُرضية لله ثُمَّ له ولها ، وهو دليل على أنَّه ﷺ لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساءٍ هَمُّهُن من حياتهنَّ النعيم والزينة ، وإن كنتنَّ تُردنَ من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ، ومرضاة رسوله بالقيام بأعباء الدين ، وإصلاح أمور

(١) أخرجه مسلم [١٤٧٨/٢٩] .

المؤمنات والمؤمنين ، وثواب الدار الآخرة ، تؤثرنه على نعمة الدنيا العاجلة ، فإنَّ الله قد أعد للمحسنات منكنَّ أجراً عظيمًا هو أعظم وأكبر ممَّا أعده للمحسنات من سائر المؤمنات . وقد بين هذا في الآيات الّتي بعد هذه ، وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على افتراء أعداء الإسلام الذين يقولون : إن هَمَّ محمَّد من حياته التمتع باللذات والشهوات وإنه لذلك أكثر من الزوجات .

obeikandl.com

تأديب الله لأزواج نبيه ﷺ وتعليمهنَّ ما يراد منهن

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التخيير على أنَّه من ربه لا من عند نفسه ، ووصل الأمر بمواعظ وحكم عرفهنَّ بها منزلتهنَّ ، وتفضيلهنَّ على سائر النساء بجعلهنَّ قدوة لهنَّ في التقوى وحسن معاملة الأزواج ، بما أتاحه لهنَّ من معاشرة مصلح البشر الأعظم محمَّد رسول الله ﷺ وخاتم النَّبيّين . وما يتلقينه عنه من آيات الله ، والحكمة وما يشاهدنه من معاملته ، وعلو أخلاقه من الأسوة الحسنة ، وأن مقتضى ذلك أن يكون أجرهنَّ على العمل الصالح مضاعفاً ، وعقابهنَّ على الأعمال الفاحشة مضاعفاً ، على قاعدة الغرم والغنم ، وكون الّذي يُقتدى به في الخير له أجره ومثل أجور من يقتدون به فيه ، والّذي يُقتدى به في الشر عليه وزره ومثل أوزار الذين يقتدون به فيه ، وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مسلم معروف[1] . ولو كانت سيرة أزواج الرسول ﷺ فاسدة لفسدت سيرة سائر المؤمنات بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال .

قال الله عزَّ وجلَّ مخاطبًا لهنَّ : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ

(١) أخرج مسلم [١٠١٧/ ٧١] عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ ، عليهم الصوف . فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة ، فأبطأوا عنه ، حتَّى رُؤِيَ ذلك في وجهه . قال : ثُمَّ إن رجلاً من الأنصار جاء بِصُرَّة من وَرِق ، ثُمَّ جاء آخر ، ثُمَّ تتابعوا حتَّى عُرف السرور في وجهه . فقال رسول الله ﷺ « من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، فعُمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقُصُ من أوزارهم شيء » .

وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

الفاحشة المبينة : وهي الفعلة الظاهرة القبح ، كالكذب في مسألة العسل ، دون الهفوة واللمم ممّا قد يُخفي قبحه على فاعله .

والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع وإذعان النفس ، والعمل الصالح : أعم منه ، والتقوى : اتقاء مخالفة اللّه ورسوله وكل ما تسوء عاقبته .

والخضوع بالقول : لين الكلام الأنثوي الّذي يُطمع الرجل الخبيث الضعيف الإيمان في المرأة لارتيابه في عفتها .

والقول المعروف : هو الحسن البرئ من الريبة الّذي لا يُنكر نزاهة قائلته من يسمعه .

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ أمر من القرار ، أي الْزَمْن بيوتكنَّ فلا تخرجن منها لغير حاجة .

والتبرج : التبختر مع إظهار الزينة لجذب الأبصار ، وهو من منكرات الجاهلية القديمة .

و ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ : الدنس المعنوب وهو كل ما يمس الدين أو الشرف .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ تعليل لهذه الأوامر والنواهي كلها ، فإنَّ امتثالها ينافيه ، وتتم به الطهارة بأكمل معانيها .

وذكر الضمير ﴿ عَنكُمُ ﴾ ليشمل صاحب البيت صلوات اللّه وسلامه عليه ، فإنَّ شرف أزواجه له ، فإنَّ علق بإحداهنَّ رجس أصابه ألم وعاره - أعلى اللّه كرامته ونزه ساحته - وقد يشمل بعمومه سائر أهل بيته غير نسائه المقصودات بالذات ، وتؤيده بعض الروايات وآيات اللّه كتابه وبراهينه ، و ﴿ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ المعارف المعقولة المرقية للعقول المزكيّة للنفوس ، الحاملة لها على معالي الأمور .

obeikandl.com

توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية أزواجه

بالغ أزواج النَّبيّ ﷺ في التضييق عليه ؛ بباعث الغيرة . وجرأهنَّ عليه حلمه الواسع ولطفه ، واعتقادهنَّ أن المساواة بينهنَّ واجبة عليه ، وتوهمهنَّ أن منها المساواة في الحب ، وفي أمره الناس بأن يهدى إليه من شاء منهم حيث كان من بيوتهنَّ . فكان من تربية الوحي لهنَّ ما ذكرنا آنفًا من تهديد زعيمتهنَّ عائشة وحفصة ، وإنذارهنَّ الطلاق ، وإبدال ربه إياه خيراً منهنَّ . ثُمَّ ما خاطبه به في الآية الخمسين من سورة الأحزاب ؛ من أنَّه أحل له أزواجه اللاتي تزوجهنَّ بمهورهنَّ ، وغيرهنَّ من قريباته المهاجرات ، وما أفاء عليه من ملك اليمين ، ومن تهبه نفسها ليتزوجها بدون مهر خاصًّا به مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور ، وتقييد الزواج بأن لا يزيد على أربع نسوة في حال المقدرة مع العدل والمساواة ، وعلى واحدة عند الخوف من الظلم . وكان بعض النساء يهبن أنفسهنَّ له ﷺ وبعضهنَّ يعرضن عليه قريباتهنَّ عن ذلك[1] . ثُمَّ أفتاه الله تعالى في الآية الّتي بعدها برفع الحرج عنه في معاملة أزواجه كلهنَّ بما يشاء ؛ ليعلمن أن مساواته بينهنَّ فضل منه ﷺ عليهنَّ ، وإحسان بهنَّ ، لا واجب عليه من الله تعالى لهنَّ ، لئلا يعدن

(١) أخرج البخاري [٥١٢٠] عن ثابت البناني قال : « كنت عند أنس وعنده ابنة له فقال : جاءت امرأة تعرض نفسها على رسول الله ﷺ فقالت : ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه . فقال : هي خير منك رغبت في رسول الله ﷺ فعرضت نفسها عليه » . وأخرج البخاري [٥١١٣] أن خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهنَّ للنبي ﷺ فقالت عائشة : « أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟ » .
وأخرج البخاري [٥١٠٧] أن أم حبيبة عرضت عليه أختها ليتزوجها فتشاركها في خيرها فأخبرها بعدم حلها له معها ، وقال : « فلا تعرضن عليّ بناتكنَّ ولا أخواتكنَّ » .

إلى مثل ما كان منهنَّ قال تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥١] .

رفع الله عن نبيِّه بهذه الآية ما فرضه على أمته من القسم والمساواة بين الأزواج ، وأباح له ما يشاء من إرجائه نوبة بعضهنَّ أي : تأخيرها ، وإيواء من شاء إليه متى شاء ، وعزل من شاء وإبعادها ، ولكنه ﷺ ظل على ما كان من مساواته بينهنَّ بالعدل . فرضين منه لأنَّه بمحض الفضل ، ولم يتزوج عليهنَّ أحدًا ممن أبيح له في الآية التي قبلها ، ولو كانت رغبته في تعدد الأزواج للاستمتاع بهنَّ لفعل ولاختار حسان الأبكار على الثيبات .

ولمَّا نزلت هذه الآية قالت عائشة له : كلمة شاذة لعلها أشد ما صدر عنها من إدلال حب الزوجية وغرارة الحداثة ، قالت له : « ما أرى إلَّا أن ربك يسارع في هواك »[1] تعني بهواه رغبته وميله النفسي ، فقابل ﷺ هذه الكلمة الجريئة النابية عن الأدب بحلمه الواسع حتَّى علمت عائشة وغيرها أنَّه ﷺ لم يكنَّ له أدنى هوى نفسي في هذه التوسعة عليه ، فإنَّه لم يعمل بها ، وإنَّما كانت لأجل تربيتها هي وسائر أزواجه ، وإقناعهنَّ بكمال عدله فيهنَّ وفضله عليهنَّ فيما لم يوجبه ربه عليه .

وكانت عائشة على حداثتها قوية الإيمان والإجلال له ﷺ ، ولكنَّ الغيرة النسائية كانت تغلب على وجدانها . ولقد أقنعتها حفصة في سفر لهما مع النَّبيِّ ﷺ بأن تستبدل بعيرها ببعيرها ففعلت ، فرأته ﷺ يكلم حفصة ظانًا أنَّها عائشة فاشتعلت نار غيرتها فلمَّا نزلت وضعت رجليها في الإذخر - نبات عطر معروف - وصارت تدعو الله أن يرسل إليها حية أو عقربًا تلدغها وتقول : إنَّه نبيك ولا أستطيع أن أقول له شيئًا . رواه البخاري[2] .

روت معاذة عن عائشة قالت : « إن رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ الآية ، فقلت لها :

---

(١) أخرجه البخاري [٤٧٨٨] ، ومسلم [١٤٦٤/٤٩] .

(٢) أخرجه البخاري [٥٢١١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

ما كنت تقولين ؟ قالت : كنت أقول له : إن كان ذلك إلى رسول الله فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا »[١] ، وفي رواية : « لم أوثر أحدًا على نفسي »[٢] فأين هذا الجواب من إنكارها عليه مد يده إلى زينب ؛ لمصافحتها في بيتها ، ومن تجسسها عليه إذا أبطأ في زيارته لها يوم شرب العسل عندها ؟ !

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري [٤٧٨٩] .
(٢) أخرجه مسلم [١٤٧٦/٢٣] .

obeikandl.com

تحريم النساء
على النَّبيّ ﷺ بعدما تقدم

قال تعالى بعد هذه الآية من سورة الأحزاب : في التوسيع على نبيه ﷺ في أمر النساء ، وما كان لها ولمَّا قبلها من اتعاظ نسائه وتأدبهنَّ ، ومن اختيارهنَّ البقاء معه ﷺ مع القشف والزهد ، على الحياة الدنيا وزينتها مع فراقه .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

ذهب جميع المفسرين إلى : أن هذه الآية نزلت في مكافأة أزواج النَّبيّ التسع على اختيارهنَّ مرضاة الله ورسوله ، وثواب الدار الآخرة على نعيم الحياة الدنيا وزينتها ، فحرم عليه أن يتزوج عليهنَّ أو يستبدل بهنَّ أزواجًا أخرى ، وأن قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ معناه من بعد هؤلاء التسع اللائي في عصمتك أو من بعد اختيارهنَّ لك .

وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير من كبار مفسري التابعين أن المعنى : لا يحل لك النساء بعد الّذي أبيح لك في الآية السابقة . أي من التصرف في معاملة أزواجك التسع كما تشاء ، ومآله أنّه لم يبق لهنَّ من سبيل إلى إزعاجك بما كنَّ يزعجنك به ، الّذي أدى إلى تهديدهنَّ بالطلاق ، والتخيير بين الإمساك والفراق .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾ ظاهر في حبه ﷺ للحسن والجمال ، وكيف لا وهو الكامل الذوق والخلال ، القائل : « إنَّ الله جميل يحب الجمال »[1] . ولكنه كان يؤثر المصلحة على التمتع النفسي . ويشرع

(١) أخرجه مسلم [٩١/١٤٧] عن عبد الله بن مسعود .

الله ما هو أليق بمقامه الإصلاحي لا ما تدل عليه كلمة عائشة بقرينة غيرتها الزوجية من كل ما تهواه نفسه .

واستثني ههنا ملك اليمين ، وهو ممَّا يسوؤهنَّ لو حصل ، ولكنه لم يحصل فهو لم يسترق سبية ، ولم يشتر أمة يتسرى بها ، وإنَّما كان تسريه المعروف قبل ذلك . والمراد بكل هذا إكمال تربية الأزواج الطاهرات المختارات ، حتَّى لا يعدن إلى تلك الصغائر النسائية المزعجات له ﷺ ، وبذلك كمل إيمانهنَّ بكماله .

ومن المعلوم بالطبع أن أهم ما يهم المرأة من زوجها هو وظائف الزوجية ، ووسائل المعيشة ، وأن المرأة أعلم الناس بضعف بعلها البشري ، وأن صفاته الزوجية قد تحجبها عن خصائصه الروحية والعقلية ، وتعد الصغير من ذنبه معها كبيراً ، والقليل من تقصيره كثيراً ، وقد قال ﷺ في بعض مواعظه للنساء : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار » فسألنه عن السبب فقال : « إنكنَّ تكثرن اللعن وتكفرن العشير »[1] يعني الزوج أي ينكرن فضله ومعروفه .

فمن ثَمَّ قال بعض علماء الإفرنج : إن سبق خديجة إلى الإيمان بمحمَّد ويقينها فيه من أقوى الدلائل على صدقه . وكذلك كان سائر نسائه ﷺ في قوة الإيمان به واتباع هديه ، وإيثار الشرف بزوجاته مع القشف والشظف ، على كل ما في الدنيا من زينة وترف .

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري [٣٠٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، ومسلم [١٣٢/ ٧٩] عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، وله تتمة .

obeikandl.com

آية الحجاب

لبيان ما يجب على المؤمنين من الأدب مع الرسول وأزواجه وما يحرم عليهم من إيذائه ﷺ

قد فطر الله محمّدًا ﷺ على مكارم الأخلاق ، وعقائل الآداب ، وكمّل أخلاقه وآدابه بوحيه إليه هذا القرآن ، ينبوع الحكمة وشمس العرفان ، ووصفه فيه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، وقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وكان على رحمته ولينه ولطفه وحلمه - وقوراً مهيبًا وشجاعًا باسلاً ، وجليلاً جلالاً ، حتّى كان بعض من يجيء معاديًا يريد الفتك به ترتعد فَرَائِصُه عند رؤيته فيقول له ﷺ : « هون عليك ؛ فلست بملك ، إنّما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد »(١) . فكان يهون على الناس مهابته بالمبالغة في التواضع ، فينهي عن الغلو في تعظيمه ، وعن الوقوف بين يديه ، وكان كما قال هند بن أبي هالة : من نظر إليه بديهة هابه ، ومن عاشره معرفة أحبه . وكما قال ابن الفارض .

بجلال حجبته بجمال هام واستعذب العذاب هناكا

ومن شواهد مهابته ﷺ ما رواه الشيخان عن زينب الثقفيّة امرأة عبد الله ابن مسعود قالت : قال رسول الله ﷺ : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليّكنّ » قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت : إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة ، فَأْتِه فاسأله ، فإنْ كان ذلك يجزئ عني ، وإلّا صرفتها إلى غيركم ، فقال عبد الله : بل ائتيه أنت ،

(١) رواه ابن ماجة [٣٣١٢] عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال الألباني في صحيح ابن ماجة [٢٦٧٧] : صحيح .

فانطلقتُ فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتها حاجتي وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيتْ عليه المهابة ، فخرج علينا بلال ، فقلنا له : ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره مَنْ نحن . قالت : فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله : « مَنْ هما ؟ » فقال امرأة من الأنصار وزينب . فقال رسول الله ﷺ : « أي الزيانب ؟ » قال : امرأة عبد الله بن مسعود ، فقال : « لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة »[1] .

وكان قومه - العرب - أوسع الأقوام حرية ، وأجرأهم على العظماء ؛ لعدم وجود ملوك جبارين فيهم يستذلونهم ، ولا رؤساء دينيين يربُّونهم على الخضوع لهم ، فكانت آداب أتْبَاعِه معه ﷺ دينية ، وازعها نفسي ، لا قهري ولا عرفي ، وتعاليمهم فيها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنته ﷺ والتأسي به ولهذا كانت في كمالها ونقصها تابعة لقوة الإيمان ، وسعة العرفان . وكان فيهم الأعراب الجفاة ، والمنافقون العتاة ، ومرضى القلوب . وكان الجميع يدخلون بيوته ويتحدثون إلى أزواجه في أي وقت من ليل أو نهار .

كان هذا الأمر يثقل عليه ، وعلى علماء الصحابة وفضلائهم . وكان عمر ابن الخطاب من أشدهم غيرة وجرأة ، وحزمًا ، أو أجمعهم لهذه الصفات على أكملها ؛ فكان يطالب النَّبيّ ﷺ بحجبهنَّ عن الرجال . فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : « يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهنَّ البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ! » فأنزل الله آية الحجاب[2] . أي فكان هذا ممَّا وافق رأيه القرآن .

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت : « كنت آكل مع النَّبيّ

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٦٦] ، ومسلم [٤٥/ ١٠٠٠] عن زينب امرأة عبد الله .

(٢) أخرجه البخاري [٤٤٨٣، ٤٧٩٠] عن أنس رضي الله تعالى عنه .

ﷺ في قعب[١] ، فمر عمر فدعاه النَّبيّ ﷺ فأكل ، فأصابت أُصْبَعه أُصْبَعي فقال : أَوْه ! لو أطاع فيكنَّ ما رأتكنَّ عين »[٢] .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال : « لمَّا تزوج النَّبيّ ﷺ زينب دعا القوم فطعموا ثُمَّ جلسوا يتحدثون ؛ فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا . فلمَّا رأي ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النَّبيّ ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس . فرجع ثُمَّ إنَّهم قاموا فانطلقت ، فجئت فأخبرت النَّبيّ ﷺ أنَّهم قد انطلقوا . فجاء حتَّى دخل فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله آية الحجاب »[٣] .

آية الحجاب وسبب نزولها :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

حاصل معنى الآية : نهي المؤمنين عن دخول بيوت النَّبيّ ﷺ على أزواجه كما كانوا يفعلون ؛ لأجل الطعام أو الكلام أو غيرهما من الحاج[٤] إلَّا في حال الإذن لهم ودعوتهم منه ، أو من قبله إلى طعام ناضج حاضر ، غير منتظرين لأناه ؛ أي : نضجه حتَّى لا يطول مكثهم فيها . قال : ولكنَّ إذا دعيتم إليه والحال ما ذُكر فادخلوا ، فإذا طعمتم ، أي : أكلتم الطعام فانتشروا ؛ أي : أخرجوا وتفرقوا بلا تريث ولا بطء ، كما يدل عليه العطف

(١) القعب : القدح الضخم ، الغليظ ، الجافي ؛ وقيل قدح من خشب مقعر . لسان العرب [٦٨٣] .

(٢) روا الطبراني في المعجم الأوسط [٢٩٤٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٣) أخرجه البخاري [٤٧٩١] ، ومسلم [١٤٢٨/٩٢] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

(٤) الحاج بتخفيف الجيم جمع حاجة .

obeikandl.com

بالفاء . ولا تدخلوها مستأنسين لحديث ؛ أي طالبين للأنس والتسلية بالكلام مع أهلها ، ولا مكثكم فيها . فمنع دخولهم لأجل الطعام إلّا بدعوة إليه بشرطها ، ومنع دخولهم لأجل الكلام مطلقاً ، وعلل المنع بأن ما كان من دخولهم بيوته ، ومكثهم فيها كان « يؤذي النَّبيّ » ؛ أي : يؤلمه ولم يقل « يؤذيه » للتذكير بأن إيذاءه بصفة النبوة أعظم من إيذائه بصفته الشخصية - وإنه لفرط حيائه وأدبه كان يخفي عنهم أذاه وألمه منهم ، فلا يصرح لهم به ولا يعمل بموجبه فينهاهم عن الدخول والمكث .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي : لا يمتنع أن يظهره بالاخبار به ، والأمر بالتزامه ، والنهي عما ينافيه ؛ لأنه تعالى لا يَعْرِضُ له الانفعال البشرى الّذي يمنع الإنسان عن مواجهة غيره بما يكره .

ولمّا كان هذا المنع لدفع الأذي عن الرسول ﷺ لا لحرمان المؤمنين من الانتفاع من أزواجه بما اعتادوا أن يطلبوه من بيوته قال : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا ﴾ وهو كل ما ينتفع به من ماعون وغيره ، ومنه السؤال عن العلم بالأولى ﴿ فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ أي : ستر مضروب دونهنّ ؛ بحيث يسمعن ما تطلبون من غير مواجهة ولا استئناس في المخاطبة ، وعلله بقوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ أي : ذلكم السؤال من وراء حجاب ، أو الّذي ذكر كله من نهى وأمر بشرطهما ﴿ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ من الخواطر الطبيعية ، والوساوس الشيطانية الّتي يثيرها تلاقي النساء والرجال ، واسترسالهما في حديث الاستئناس وشجونه ، واختلاف الأفهام والتأويلات فيه .

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ وما كان من شأنكم ولا ممّا يصح أن يقع منكم أيها المؤمنون إيذاء رسول اللّه بحال من الأحوال ؛ لأنّ تعمد إيذائه ينافي الإيمان فوجب أن يُتقي وتسد ذرائعه ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ فإنّ اللّه تعالى جعلهنّ أمهات لكم ، وجعله أولى بكم من آبائكم ، بل من أنفسكم . وكل صحيح الإيمان يشعر من نفسه بأن رسول اللّه ﷺ أجل في قلبه من أمه وأبيه ، وأحب إليه من نفسه الّتي بين جنبيه .

ومن لوازم إجلاله إجلال حلائله ، وإحلالهنَّ من قلبه محل الكرامة الدينية الروحية ، البعيدة عن شعور الشهوة الجنسية ، بأشد من صرف إجلال الأم الجسدية للنفس عن اشتهائها ، فكيف يسمح له وجدانه الديني أن يَحِلَّ من إحداهنَّ محل رسول الله ﷺ ؟ أو ليست ذكرى الرسول عند إرادة قربه منها - إن حصل - كافيَة لإثارة عاطفة الحياء منه والإجلال له الصارفة له عن ملامستها ؟ بلى والله . ولكنَّ رُوى عن بعض المنافقين ومرضى القلوب أنَّهم تحدثوا بنكاح فلانة وفلانة من أمهات المؤمنين بعد وفاته ﷺ . فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن هذا ليس من شأنه أن يقع من المؤمنين ؛ ليعلموا أن من يتحدث به لا يكون إلَّا من المنافقين . فإنَّ قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ ﴾ نفي للشأن لا لمجرد الفعل وهو يقتضى نفي الفعل بالدليل . وإن كل مؤمن ليشعر في كل زمن بأن إيذاء الرسول ونكاح بعض أزواجه ينافي الإيمان بأنه رسول الله ﷺ . وقد أكد ذلك بما يدل على الوعيد الشديد على مخالفته فقال : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ أي : خطبًا وحوباً كبيراً .

فعلم من نص الآية ، ومما ورد في سبب نزولها أن الأمر بحجاب أزواج النَّبيّ ﷺ قد كان لتقرير ما يجب على المؤمنين من توقيره وتعظيم حرمته ، وسد منافذ الذرائع دون كل ما يكون من إيذائه ، وقطع طرق الشبهات ، ونزغات الشيطان أن تطوف بقلوب مُجالسهنَّ ومُحدثهنَّ بما يمس مقامه في منصب النبوة والرسالة ، أو يهبط بهنَّ من أوج أمومة المؤمنين الروحية ، إلى خواطر النزعات الزوجية ، ولا ننسي أن المنافقين إذا لاحت لهم شبهة في إحداهنَّ بنوا عليها من الإفك والبهتان ما يعن لهم ، ويوسوس به الشيطان . كما فعلوا في رمى السيدة عائشة بما أثر في قلوب بعض سذج المؤمنين حتَّى نزلت براءتها من السماء .

ومن هذا القبيل في سد الذريعة على الخواطر والوسوسة : أن صفيَّة أم المؤمنين زارت النَّبيّ ﷺ وهو معتكف في العَشْر الأخير من رمضان في المسجد ، فتحدثت عنده ساعة من العشاء ، فلمَّا قامت تنقلب راجعة ، فقام معها النَّبيّ ﷺ حتَّى إذا بلغا باب المسجد مر بهما رجلان من الأنصار فسلمَّا

على رسول الله ﷺ ثُمَّ نفذا - انطلقا مسرعين - فقال لهما ﷺ : « على رسلكما إنَّما هي صفيَّة بنت حيي » قالا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما . فقال ﷺ : « إنَّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا »[1] . رواه الشيخان .

ولا تدل الآية بتصريح ولا تعريض على تعليل الحجاب بالخوف على شرف صيانتهنَّ وحصانتهنَّ ، لا منهنَّ ولا عليهنَّ كما يتوهم بعض المعترضين من غير المسلمين على مسألة الحجاب في الإسلام ، إذ يقولون : إنَّ المسلمين يحجبون نساءهم عن الرجال لعدم ثقتهم بعفتهنَّ ، وهذا باطل .

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري [٢٠٣٨] ، ومسلم [٢١٧٥/ ٢٤] عن صفيَّة بنت حيي رضي الله تعالى عنها .

obeikandl.com

ثمرة هداية القرآن والسُّنة في أزواجه

بهذا الوحي الإلهي ، والهدى المحمدي ، عَلِمَ أولئك الضرائر التسع أن الإصلاح الإسلامي للبشر يكلفهنَّ أن يكنَّ نسوةً لا كالنساء ، وأزواجًا لا كالأزواج ، يكلفهنَّ أن يحتقرن التنافس في الطعام والشراب ، والمباراة في زينة الحلى واللباس ، والتحاسد على الحظوة عند هذا الزوج العظيم في حب الزوجية ، وتناسي وظيفته العليا وهي النبوة ، علمن بما ذُكر أن الله تعالى ورسوله يريدان منهنَّ أن يكنَّ قدوة صالحة ، وأسوة حسنة لجميع النساء ، ومعلمات للمؤمنات ، ومُثُلاً بارزة في البر والتقوي ، والعلم والحكمة ، ومعالي الأمور ومكارم الأخلاق ، من العفة والصيانة والأمانة والديانة ، وأن يرجئن ما يشتهين من الزينة والنعمة إلى الدار الأخرة ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة : ٣٨] .

خيرهنَّ الله ورسوله بين الأمرين فاخترن خيرهما ، وأتم الله نعمته عليهنَّ بما شرعه لرسوله ولهنَّ ممَّا يزكيهنَّ من وساوس الغيرة ودنايا المضارة ، فتم لهنَّ مراد الله تعالى بها ، وبما شرعه للمؤمنين من جعلهنَّ أمهات لهم ، وضرب الحجاب عليهنَّ دونهم حتَّى لا يفكر مؤمن فيما دون أمومتهنَّ الروحية ، وإجلال منصب النبوة إذ قال تعالى في هذه السورة : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب : ٦] .

ولقد كان نساء المؤمنين يلجأن إليهنَّ بالشكوى من تقصير رجالهم في حقوق الزوجية - حتَّى حقوق الفراش - انقطاعاً للعبادة فيبلغن النَّبيّ ﷺ ذلك فيُشكيهنَّ ، وينهى رجالهنَّ عن التنطع والغلو في العبادة والامتناع من أكل الطيبات وهجر الأزواج في الفراش ، مبالغة في صيام النهار وقيام

الليل ، ويقول للواحد منهم : « إن لجسدك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ... » الحديث[1] .

وقد نقل لنا المحدثون والمؤرخون عنهنّ من فضائل الزهد والبر والصدقات والإيثار على النفس بعد رسول الله ﷺ . إذ أقبلت الدنيا على المسلمين وأنجز الله لهم ما وعدهم به من الغني والملك ، ما يُثبت لكل عالم بذلك ، أن تعددهنّ كان خيراً وصلاحاً للأمة ، وإعلاءً لشأن المرأة فيها ، إذ كنّ أفضل سيرة من جميع نساء الأنبياء والمرسلين ، بل لا يكاد يفضلهنّ من نساء الأمم إلّا مريم ابنة عمران ، ومن هذه الأمة غير فاطمة بنت محمّد عليهما السلام ، وصلّى الله على محمّد وأهل بيته وعلى رسل الله أجمعين .

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري [١٩٧٥] ، ومسلم [١١٥٩/ ١٨١] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

obeikandl.com

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله تعالى عنه

عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أمير المؤمنين ، أبو الحسن القرشي الهاشمي .

وأمهُ فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ، وهي بنت عم أبي طالب . كانت من المهاجرات ، توفيت في حياة النَّبيّ ﷺ بالمدينة .

قال عمرو بن مرةَ ، عن أبي البُخْتُرِيّ ، عن عليّ : قلت لأمي : اكفي فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك هي الطحن والعجن . وهذا يدل علي أنّها توفيت بالمدينة .

رَوَي الكثير عن النَّبيّ ﷺ ، وعرضَ عليه القرآن وأقرأه . عرضَ عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو الأسود الدؤلي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ورَوَي عن عليّ : أبو بكر ، وعمر ، وبنوه : الحسن ، والحسين ، ومحمَّد ، وعمر ، وابن عمه ابن عباس ، وابن الزبير ، وطائفة من الصحابة ، وقيس بن أبي حازم ، وعلقمة ابن قيس ، وعبيدة السلماني ، ومسروق ، وأبو رجاء العطاردي ، وخلق كثير .

وكان من السابقين الأولين ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان يُكَنَّى أبا تراب أيضاً .

قال عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل ، أن رجلاً من آل مروان استُعْمِل على المدينة ، فدعاني ، وأمرني أن أشتم عليّاً فأبيتُ ، فقال : أما إذا أبيتَ فالعن أبا تراب ، فقال سهل : ما كان لعليٍّ اسم أحب إليه منه ، إن كان ليفرح إذا دُعي به ، فقال له : أخبرنا عن قصته ، لم سُمّي أبا تراب ؟ .

فقال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ، فلم يجد عليّاً في البيت ، فقال : أين ابن عمك ؟ فقالت : قد كان بيني وبينه شيء فغاظني ، فخرج ولم يَقِلْ عندي . فقال لإنسان : « اذهب انظر أين هو » ؟ . فجاء فقال : يا رسول الله ، هو راقد في المسجد ، فجاءه رسول الله ﷺ ، وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شِقّه ، فأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه التراب ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب »[1].

وقال أبو رجاء العطاردي : رأيت عليّاً شيخاً أصلع كثير الشعر ، كأنما اجتاب إهاب شاة ، ربعة عظيم البطن ، عظيم اللحية .

وقال سوداة بن حنظلة : رأيت عليّاً أصفر اللحية .

وعن محمّد بن الحنفيّة ، قال : اختضب علي بالحناء مرة ثُمّ تركه .

وعن الشعبي ، قال : رأيت عليّاً ورأسه ولحيته بيضاء ، كأنهما قطن .

وقال الشعبي : رأيت عليا أبيض اللحية ، ما رأيت أعظم لحيةً منه ، وفي رأسه زُغَيْبات .

وقال أبو إسحاق : رأيته يخطُب ، وعليه إزار و رداء ، أنزع ، ضخم البطن ، أبيض الرأس واللحية .

وعن أبي جعفر الباقر ، قال : كان عليٌّ آدم ، شديد الأدمة ، ثقيل العينين ، عظيمهما ، وهو إلى القصر أقرب .

قال عروة : أسلم عليّ وهو ابن ثمانٍ .

وقال الحسن بن زيد بن الحسن : أسلم وهو ابن تسع .

وقال المغيرة : أسلم وله أربع عشرة سنة . رواه جرير عنه .

وثبت عن ابن عباس ، قال : أوّل من أسلم عليّ .

وعن محمّد القُرَظِي ، قال : أوّل من أسلم خديجة ، وأول رجلين أسلمًا أبو بكر وعلي ، وإن أبا بكر أول من أظهر الإسلام ، وكان عليٌّ يكتم الإسلام فرقاً من أبيه ، حتّى لَقِيَهُ أبو طالب ، فقال : أسلمت ؟ قال : نعم ،

(١) أخرجه البخاري [٣٧٠٣] ومسلم [٢٤٠٩ / ٣٨] .

قال : وازر ابن عمك وانصره . وأسلم عليٌّ قبل أبي بكر .

وقال قتادة : إن عليّاً كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر ، وفي كل مشهد .

وقال أبو هريرة وغيره : إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ويفتح الله على يديه »[١] .

قال عمر : فما أحببت الإمارة قبل يومئذ ، قال : فدعا عليّاً فدفعها إليه[٢] .

عن عبد الله بن أبي ليلى ، قال : كان أبي يَسْمُرُ مع عليٍّ ، وكان عليٌّ يلبس ثياب الصيف في الشتاء ، وثياب الشتاء في الصيف ، فقلت لأبي : لو سألته فسأله ، فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليَّ وأنا أرمد العين يوم خيبر ، فقلت : يا رسول الله إني أرمد ، فتفل في عينيّ ، وقال : « اللَّهمَّ أذهب عنه الحر والبرد » ، فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ[٣] .

عن أمّ موسى : سمعت عليّاً يقول : ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني[٤] .

وعن جابر بن عبد الله : أن عليّا حمل الباب على ظهره يوم خيبر ، حتّى صعد المسلمون عليه ففتحوها - يعني خيبر - ، وأنهم جَرُّوه بعد ذلك ، فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً . تفرَّدَ به إسماعيل ابن بنت السُّدي ، عن المطلب .

وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته ، فلمّا دنا من الحصن ، خرج إليه أهله ،

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٧٠٢] ومسلم [٢٤٠٧ / ٣٥] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٠٥ / ٣٣] .

(٣) رواه ابن ماجه [١١٧] وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [٩٥] حسن بطريقين آخرين في « أوسط الطبراني » [١ / ١٢٧ ، ٢/ ٢٢٢] وحسنه الهيثمي [٩/ ١٢٢] دون قصة البعث فهي في « الصحيحين » دون « ليس بقرار » وهذا له شاهد في « مسند أبي يعلى » [١/ ٣٧٤] .

(٤) رواه أحمد في المسند [١/ ٧٨] وقال الأرناؤوط : إسناده حسن .

فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود ، فطرح ترسه من يده ، فتناول عليٌّ باباً عند الحصن ، فَتَتَرَّس به عن نفسه ، فلم يزل في يده ، وهو يقاتل ، حتَّى فتح الله علينا ، ثُمَّ ألقاه ، فلقد رأيتنا ثمانية نفر ، نجهد أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه .

وعن ميمون أبي عبد الله ، عن البراء ، وزيد بن أرقم ، أن رسول الله ﷺ قال لعليّ : « أنت مِنِّي كهارون من موسى ، غير أنك لست بنبيٍّ » .(١)

وعن سعد بن أبي وقاص قال ؛ قال معاوية : ما يمنعك أن تسبَّ أبا تراب ؟ قال : أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسبَّهُ ، لأنْ تكون لي واحدة منهنَّ أحب إليَّ من حمر النعم :

سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وخلَّف عليّاً في بعض مغازيه ، فقال : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ! ؟

قال : « أما ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي » .

وسمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر : لأعطينَّ الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » ، فدفعها إليه ، ففتح الله عليه .

ولمَّا نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦٠] ، دعاه رسول الله ﷺ ، وفاطمة ، وحسنا وحسيناً ، فقال : « اللَّهمَّ هؤلاء أهلي » .(٢)

وعن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : أما والله أشهد لقال رسول الله ﷺ لعلي يوم غدير خمّ ، وأخذ بضبعيه : « أيها الناس من مولاكم » ؟ قالوا : الله ورسوله . قال : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللَّهمَّ وَالِ من والاه ، وعَادِ من عاداه » (٣) الحديث .

---

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات [٣ / ٢٣] . وقال الذهبي : ميمون صدوق .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٠٤ / ٣٢] .

(٣) رواه الطبراني في الكبير [٤ / ١٧٣ / ٤٠٥٣] عن الحارث النخعي .

وروى ابن ماجه [١١٦] وصححه الألباني عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : =

ويُروى عن أنس أن النَّبيّ ﷺ قال لابنته فاطمة : « قد زوجتك أعظمهم حلمًا ، وأقدمهم سلمًا ، وأكثرهم علماً »[١].

وعن بريدة أن النَّبيّ ﷺ قال : «يا بريدة لا تَقَعَنَّ في عليّ فإنَّه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي »[٢].

وقال الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن عبد اللَّه بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « من كنت وليُّهُ فعلي وليُّهُ »[٣].

وقال غندر : حدثنا شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم ، أن النَّبيّ ﷺ قال : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه »[٤].

عن البراء ، قال : بَعَثَ رسول اللَّه ﷺ مجنبتين على إحداهما عليٌّ ، وعلى الآخرة خالد بن الوليد ، وقال : « إذا كان قتال فعليٌّ على الناس » ، فافتتح عليٌّ حصنا ، فأخذ جاريةً لنفسه ، فكتب خالد في ذلك ، فلمَّا قرأ رسول اللَّه ﷺ الكتاب ، قال : « ما تقول في رجل يحب اللَّه ورسوله ، ويحبه اللَّه ورسوله ؟ » . قلت : أعوذ بالله من غضب اللَّه[٥].

وعن عمران بن حصين ، قال : بعث رسول اللَّه ﷺ سَرِيَّة ، واستعمل عليهم عليّاً ، وكان المسلمون إذا قدموا من سفرٍ أو غزوٍ أتوا رسول اللَّه ﷺ قبل أن يأتوا رحالهم ، فأخبروه بمسيرهم ، فأصاب عليٌّ جاريةً ، فتعاقد أربعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ لَنُخبِرَنَّه ، قال : فقَدِمَتْ السرية ، فأتوا

= أقبلنا مع رسول اللَّه ﷺ في حجته التي حج ، فنزل في بعض الطريق ، فأمر الصلاة جامعة ، فأخذ بيد علي فقال : « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : ألست أولى بكلّ مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلي . قال : فهذا وَلِيُّ من أنا مولاه ، اللَّهم وَالِ من والاه ، اللَّهم عَادِ من عاداه » .

(١) رواه أحمد في المسند [٥ / ٢٦] وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند [٥ / ٣٥٦] وفضائل الصحابة [٢ / ٦٨٨ / ١١٧٥] .

(٣) رواه ابن حبان [٦٩٣٠] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٤) رواه الطبراني في الكبير [٤ / ١٧٣ / ٤٠٥٢] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ / ١٠٤] رواه أحمد [٥ / ٤١٩] ورجاله ثقاة . وقال الذهبي : حديث صحيح .

(٥) رواه الترمذي [١٧٠٤] و [٣٧٢٥] وضعفه الألباني [٢٨٦] .

رسول الله ﷺ فأخبروه بمسيرهم ، فقام إليه أحد الأربعة ، فقال : يا رسول الله قد أصاب عليٌّ جارية ، فأعْرَضَ عنه ، ثُمّ قام الثاني ، فقال : صنع كذا وكذا ، فأعْرَضَ عنه ، ثُمّ الثالث كذلك ، ثُمّ الرابع ، فأقبل رسول الله ﷺ عليهم مغضباً ، فقال : « ما تريدون من عليٍّ ، عليٌّ مني وأنا منه ، وهو وليُّ كلّ مؤمن بعدي »[١] .

وعن أبي سعيد ، قال : اشتكى الناس عليّا ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فقال : « لا تشكوا عليا ، فوالله إنّه لأخيشن في ذات الله - أو في سبيل الله »[٢] .

ويروى عن عمرو بن شاس الأسلمي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من آذى عليا فقد آذاني »[٣]

عن أبي الطفيل ، قال : جمع عليّ رضي الله عنه الناس في الرحبة ، ثُمّ قال لهم : أنشدُ الله كلّ امريءٍ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خُمّ ما سمع لمّا قام . فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده رسول الله ﷺ ، فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللّهمّ وَالِ من والاه ، وعَادِ من عاداه »[٤]

وعن البراء ، قال : أقبلنا مع رسول ﷺ في حِجّة الوداع فلمّا أتينا على غدير خم كسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ، ونودي في الناس : « الصلاة جامعة » ، ودعا رسول الله ﷺ عليّاً فأخذه بيده ، وأقامه عن يمينه فقال : « ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ » قالوا : بلى . فقال : « فإنّ هذا ، مولى من أنا مولاه ، اللّهمّ وَالِ من والاه وعَادِ من عاداه » . فلقيه

---

(١) رواه الترمذي [٣٧١٢] وصححه الألباني [٢٩٢٩] .

(٢) رواه أحمد في المسند [٣ / ٨٦] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ / ١٢٩] رواه أحمد ورجاله ثقاة .

(٣) البداية والنهاية [الجزء السابع - سنة أربعين من الهجرة] .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ / ١٢٧] وقال : رواه البزار وفيه محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

obeikandl.com

عمر بن الخطاب ، فقال : هنيئاً لك يا عليُّ ، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة [١] .

وعن أنس بن مالك ، قال : أُهدي إلى رسول اللّه ﷺ أطيار ، فقسمها ، وترك طيراً ، فقال : « اللّهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك » ، فجاء عليّ .

عن أنس ، قال : أهدي إلى رسول اللّه ﷺ حجل مشوى ، فقال : « اللّهمَّ ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي » وذكر الحديث .

وعن بريدة رضي اللّه عنه قال : كان أحب النساء إلى رسول اللّه ﷺ فاطمة ، ومن الرجال علي [٢] .

وعن أبي عبد اللّه الجدلي ، قال : دخلتُ على أم سلمة ، فقالت لي : أَيُسَبُّ فيكم رسول اللّه ﷺ ! قلت : معاذ اللّه . قالت : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « من سبَّ عليّاً فقد سبَّني » [٣] .

عن زر ، عن عليّ ، قال : إنّه لعهد النَّبيّ ﷺ إليّ أنّه : « لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق » [٤] .

وعن أبي سعيد ، قال : إن كنا لنعرف المنافقين ببغضهم عليّاً .

وعن جابر ، قال : ما كنا نعرف منافقي هذه الأمة إلّا ببغضهم عليّاً .

وعن علي ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « رحم اللّه أبا بكر ، زوجني ابنته ، وحملني إلى دار الهجرة ، وأعتق بلالاً . رحم اللّه عمراً ، يقول الحق ، وإن كان مُرّاً ، تَرَكَهُ الحقُّ وماله من صديق . رحم اللّه عثمان تستحييه الملائكة . رحم اللّه عليّاً ، اللّهمَّ أدِرْ الحق معه حيث دار » [٥] .

وعن عائشة ، قالت : كنت قاعدة مع النَّبيّ ﷺ ، إذ أقبل عليٌّ فقال :

---

(١) رواه ابن ماجه [١١٦] وقال الألباني [٩٤] صحيح .
(٢) رواه الترمذي [٣٨٦٨] وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٨١٢] منكر .
(٣) رواه أحمد في المسند [٦ / ٣٢٣] .
(٤) أخرجه مسلم [٧٨ / ١٣١] والترمذي [٣٣٧٦] واللفظ له .
(٥) رواه الترمذي [٣٧١٤] وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٧٦٧] ضعيف جداً .

obeikandl.com

« يا عائشة هذا سيد العرب » . قلت : يا رسول الله ، ألست سيد العرب ؟ قال : « أنا سيد ولد آدم ، وهذا سيد العرب » [١] .

وعن جميع بن عمير التيمي ، قال : دخلت مع عمتي على عائشة ، فسُئِلَتْ : أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ فقالت : زوجها ، وإن كان ما علمت صَوّاماً قَوّاماً [٢] .

وعن جابر ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نخيل امرأة من الأنصار ، فقال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » . فطلع أبو بكر ، فبشرناه ، ثُمَّ قال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » . فطلع عمر ، فبشرناه ، ثُمَّ قال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » ، وجعل ينظر من النخل ويقول : « اللّهمَّ إن شئت جعلته علياً » . فطلع عليٌّ رضي الله عنه [٣] .

وعن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال : « اثبت حراء ، فما عليك إلّا نبيّ أو صديق أو شهيد » ، وعليه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى وذكر بقية العشرة [٤] .

وقال محمّد بن كعب القرظي : قال عليّ : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإنَّ صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً [٥] .

وعن الشعبي ، قال : قال علي : ما كان لنا إلّا إهاب كبش ننام على ناحية وتعجن فاطمة على ناحية . يعني : ننام على وجه ، وتعجن على وجه .

وعن عليٍ ، قال : بعثني النَّبيّ ﷺ إلى اليمن ، وأنا حديث السن ،

---

(١) رواه الحاكم [٣ / ١٢٤] وقال الذهبي : وضعه ابن علوان .

(٢) رواه الترمذي [٣٨٧٤] وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٨١٤] منكر .

(٣) رواه أحمد في المسند [٣ / ٣٣١ ، ٣٨٠] وقال الأرناؤوط حديث محتمل للتحسين .

(٤) رواه أحمد في المسند [١ / ١٨٨] وأبو داود [٤٦٤٨] وابن ماجه [١٣٤] والترمذي [٣٧٥٧] وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [١١١] صحيح .

(٥) رواه أحمد في المسند [١ / ١٥٩] وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف .

obeikandl.com

ليس لى علم بالقضاء ، فضرب صدري ، وقال : «اذهب فإنَّ اللّه سيهدي قلبك ويُثَبِّت لسانك » . قال : فما شككت في قضاء بين اثنين بعد [١] .

وعن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : خطبنا عليٌّ فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلّا كتاب اللّه وهذه الصحيفة ، وفيها : أسنان الإبل وشيء من الجراحات ، فقد كذب [٢] .

وعن سليمان الأحمسي ، عن أبيه ، قال : قال عليٌّ : واللّه ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، وإن ربي وهب لى قلباً عَقُولاً ، ولساناً ناطقاً [٣] .

وقال محمَّد بن سيرين : لمَّا تُوُفِّي رسول اللّه ﷺ أبطأ عليّ عن بيعة أبي بكر ، فلقيه أبو بكر ، فقال : أكرهت إمارتي ؟ ! فقال : لا ، ولكنَّ آليْتُ لا أرتدي بردائي إلّا إلى الصلاة ، حتّى أجمع القرآن ، فزعموا أنّه كتبه علي تنزيله .

قال محمَّد : لو أصبت ذلك الكتابَ كان فيه العلم .

وقال سعيد بن المسيب : لم يكنْ أحد من الصحابة يقول : « سلوني » إلّا على .

وقال ابن عباس : قال عمر : على أقضانا ، وأُبَيٌّ أقرؤنا [٤] .

وقال ابن مسعود : كنا نتحدث أن أقضي أهل المدينة على [٥] .

وقال ابن المسيب ، عن عمر ، قال : أعوذ بالله من مُعْضِلَة ليس لها أبو حسن [٦] .

وقال ابن عباس : إذا حدثنا ثقة بفتيا عن عليّ لم نتجاوزها [٧] .

---

(١) رواه أحمد في المسند [١ / ٨٨] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري [٧٣٠٠] ومسلم [١٣٧٠/ ٤٦٧].

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال [٣٦٤٠٤] .

(٤) رواه أحمد في المسند [٥ / ١١٣] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك [٣ / ١٣٥] وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢ / ٣٣٩] .

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢ / ٣٣٨]، وقال ابن حجر رواه ابن سعد بإسناد صحيح .

وعن جسرة ، قالت : ذُكر عند عائشة صوم عاشوراء ، فقالت : من يأمركم بصومه ؟ قالوا : على . قالت : أما إنّه أعلم من بقي بالسنة .

وقال مسروق : انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عمر ، وعليّ ، وعبد الله .

وقال محمّد بن منصور الطوسي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعليّ رضي الله عنه .

وقال أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : شهدت عمر يوم طُعن ، فذكر قصة الشورى ، فلمّا خرجوا من عنده قال عمر : إن يولوها الأجيلح يسلك بهم الطريق المستقيم . فقال له ابنه عبد الله : فما يمنعك ؟ - يعني أن توليه - قال : أكره أن أتحملها حياً وميّتاً [١] .

وعن سعيد بن عمرو ، قال : خطبنا عليٌّ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً ، ولكنّ رأيٌ رأيناه ، فاستخلف أبو بكر ، فقام واستقام ، ثُمّ ضرب الدين بجرانه ، وإن أقواما طلبوا الدنيا ، فمن شاء الله أن يعذب منهم عذّب ، ومن شاء أن يرحم رحم [٢] .

وعن قيس بن عباد ، قال : سمعت عليّاً يقول : والله ما عهد إليّ رسول الله عهداً إلّا شيئاً عهده إلى الناس ، ولكنّ الناس وقعوا في عثمان فقتلوه ، فكان غيري فيه أسوأ حالاً وفعلاً مني ، ثُمّ إني رأيت أني أَحَقُّهم بهذا الأمر ، فوثبت عليه ، فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا [٣] .

وعن الحسن ، قال : لمّا قدم عليٌّ رضي الله عنه البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس ابن عباد ، فقالا : ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الّذي سرت فيه ،

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٣٤٢] .

(٢) قال الدكتور بشار عواد هذا اسناده على شرط الشيخين ، ولكنّ أخرجه أحمد [١ / ١١٤] عن عبد الرزاق ، عن شعبان ، عن الأسود ، عن رجل عن علي .
وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف .

(٣) فيه ابن جدعان وهو ضعيف .

تتولى على الأمة ، تضرب بعضهم ببعض ، أعهد من رسول اللّه عهده إليك ؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت . فقال : أما أن يكون عندي عهد من النّبيّ ﷺ في ذلك فلا ، والله إن كنت أول من صدق به ، فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو كان عندي من النّبيّ ﷺ عهد في ذلك ، ما تركت أخا بني تيّم بن مرّة ، وعمر ابن الخطاب يقومان على منبره ، ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد إلّا بردي هذا ، ولكنّ رسول اللّه ﷺ لم يُقتل قتلاً ، ولم يمت فجاءة ، مكث في مرضه أياماً ولياليَ ، يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلّي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ثُمّ يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلّي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب ، وقال : « أنتنّ صواحب يوسف ، مروا أبا بكر يصلّي بالناس »[1] .

فلمّا قبض اللّه نبيه ، نظرنا في أمورنا ، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي اللّه لديننا . وكانت الصلاة أصل الإسلام ، وهي عُظْمُ الأمر ، وقوام الدين . فبايعنا أبا بكر ، وكان لذلك أهلاً ، لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديت إلى أبي بكر حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه بسوطي . فلمّا قبض ، ولّاها عمر ، فأخذ بسنة صاحبه ، وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ، ولم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة . فأديت إلى عمر حقه ، وعرفت طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلمّا قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي ، وأنا أظن أن لا يعدل بي ، ولكنّ خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلّا لحقه في قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة ، أنا أحدهم .

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٨٥] ومسلم [٢٤٠ / ١٠١] .

فلمّا اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظن أن لا يعدلوا بي ، فأخذ عبد الرحمن مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه اللّه أمرنا ، ثُمَّ أخذ بيد ابن عفان فضرب بيده على يده ، فنظرت في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، وإذا ميثاقي قد أُخذ لغيري ، فبايعنا عثمان ، فأديت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلمّا أصيب نظرت في أمري ، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول اللّه ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا [1] ، وهذا الّذي قد أُخذ له الميثاق ، قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين ، وأهل هذين المصرين .

وزاد في رواية : فوثب فيها من ليس مثلي ، ولا قرابته كقرابتي ، ولا علمه كعلمي ، ولا سابقته كسابقتي ، وكنت أحق بها منه .

قالا : فأخبرنا عن قتالك هذين الرجلين - يعنيان : طلحة والزبير - قال : بايعاني بالمدينة ، وخلعاني بالبصرة ، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر وعمر خلعه لقاتلناه .

وعن أبي سعيد ، سمع رسول اللّه ﷺ يقول : « إن منكم من يقاتلُ عَلَى تأويل القرآن ، كما قاتلتُ على تنزيله » . فقال أبو بكر : أنا هو ؟ قال : « لا » . قال عمر : أنا هو ؟ قال : « لا » ، ولكنه خاصف النعل » ، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها [2] .

قلت : فقاتل الخوارج الذين أوّلوا القرآن برأيهم وجهلهم .

وعن عثمان بن أبي عثمان ، قال : جاء أناس إلى على ، فقالوا : أنت

---

(١) قال الدكتور بشار عواد : هكذا في الأصول ، ولا يصح معناه ، فإنّ رسول اللّه ﷺ إنما أمر أبا بكر وحده فصلي بالناس ، ولم يأمر عمر ولا غيره ، والخبر كله من رواية أبي بكر الهذلي وهو متروك ، فإسناده ضعيف جداً .

(٢) رواه أحمد في المسند [٣ / ٣١ و٣٣ و٨٢] وقال الأرناؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد حسن .

هو ، قال : من أنا ! قالوا : أنت هو ، قال : ويلكم من أنا ؟ قالوا : أنت ربنا ، قال : ارجعوا فأبوا ، فضرب أعناقهم ، ثُمَّ خَدَّ لهم في الأرض ، ثُمَّ قال : يا قنبر ائتني بحزم الحطب ، فحرقهم بالنار ، وقال :

لـمّـا رأيـت الأمـر أمـرا مـنـكـرا أوقـدت نـاري ودعـوت قـنـبـرا

وقال أبو حيان التيمي : حدثني مجمع ، أن علياً رضي الله عنه كان يكنس بيت المال ثُمَّ يصلّي فيه ، رجاء أن يشهد له أنّه لم يحبس فيه المال عن المسلمين [١].

وقال أبو عمرو بن العلاء ، عن أبيه ، قال : خطب عليّ رضي الله عنه فقال : أيها الناس ، والله الّذي لا إله إلّا هو ، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً ، إلّا هذه القارورة ، وأخرج قارورة فيها طيب ، ثُمَّ قال : أهداها إليّ دهقان [٢].

وعن عبد الله بن زُرَير الغافقي ، قال : دخلت على علي يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة ، فقلت : لو قربت إلينا من هذا الوز ، فإنَّ الله قد أكثر الخير .

قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلّا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس » [٣].

وقال سفيان الثوري : إذا جاءك عن عليّ شيء فخذ به ، ما بني لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، ولقد كان يجاء بجيوبه في جراب .

وعن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، قال : دخلت على عليّ بالخورنق ، وعليه سمل قطيفة ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنَّ الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً ، وأنت تفعل هذا بنفسك ! فقال : إني والله ما أرزؤكم شيئاً ، وما هي إلّا قطيفتي الّتي أخرجتها من بيتي [٤].

---

(١) رواه أحمد في الزهد [٦٩٥] .
(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية [١ / ٨١] .
(٣) رواه أحمد في المسند [١ / ٧٨] وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف .
(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية [١ / ٨٢] .

وعن عليّ أنّه اشترى قميصاً بأربعة دراهم فلبسه ، وقطع ما فضل عن أصابعه من الكم [١].

وعن جرموز ، قال : رأيت علياً وهو يخرج من القصر ، وعليه إزار إلى نصف الساق ، ورداء مشمر ، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ، ويأمرهم بتقوى اللّه وحسن البيع ، ويقول : أوفوا الكيل والميزان ، ولا تنفخوا اللحم [٢].

وقال الحسن بن صالح بن حي : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال : أزهد الناس في الدنيا : عليّ بن أبي طالب .

وعن رجل أنّه رأي عليّاً قد ركب حمارا وذلّى رجليه إلى موضعٍ واحد ، ثُمّ قال : أنا الّذي أهنت الدنيا .

وعن أبي عمر زاذان ، أن رجلاً حدث علياً بحديث ، فقال : ما أراك إلّا قد كذبتني . قال : لم أفعل . قال : إن كنت كذبت أدعو عليك . قال : ادع فدعا ، فما برح حتّى عمي [٣].

وقال عطاء بن السائب ، عن أبي البختري ، عن علي ، قال : وأبردُها على الكبد إذا سئلتُ عما لا أعلمُ أن أقول : اللّه أعلم .

وقال خيثمة بن عبد الرحمن : قال علي : من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه .

وقال عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، قال : جاء رجل إلى علي فأثني عليه ، وكان قد بلغه عنه أمر ، فقال : إني لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

وقال محمّد بن بشر الأسدي - وهو صدوق - : حدثنا موسى بن مطير - وهو واه - عن أبيه عن صعصعة بن صوحان ، وقال : لمّا ضُرِب عليّ

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٢٩] .
(٢) المصدر السابق [٣ / ٢٨] .
(٣) رواه أحمد في الزهد [٧٠٣] .

أتيناه ، فقلنا : استخلف ، قال : إن يرد الله بكم خيراً استعمل عليكم خيركم ، كما أراد بنا خيراً واستعمل علينا أبا بكر .

وعن أبي وائل ، قال : قيل لعلى : ألا توصي ؟ قال : ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي ، ولكنْ إن يرد الله بالناس خيراً سيجمعهم على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم .

وعن عبد الله بن سبع أنه سمع علياً يقول : لَتُخَضَّبَنَّ هذه من هذه ، فما ينتظرني إلّا شقي . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فأخبرنا عنه لَنُبَيِّرَنَّ عَتْرَتَهُ ، قال : أنشدكم بالله أن يُقْتَلَ غير قاتلي .

قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكني أترككم إلى ما تركككم إليه رسول الله ﷺ (١) .

قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : أقول : اللّهمَّ تركتني فيهم ما بدا لك ثُمَّ قبضتني إليك وأنت فيهم إن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم (٢) .

وعن ثعلبة بن يزيد الحماني قال : سمعت علياً يقول : أشهد أنه كان يُسِرُّ إليَّ النَّبيّ ﷺ : « لَتُخَضَّبَنَّ هذه من هذه - يعني لحيته من رأسه - فما يحبس أشقاها »

وعن زيد بن أبي وهب قال : قدم على عليّ قوم من البصرة من الخوارج فقال منهم الجعد بن بعجة : اتق الله يا علي فإنك ميت فقال علي : بل مقتول ؛ ضربةٌ على هذه تخضب هذه ، عهد معهود وقضاء مقضي ، وقد خاب من افترى .

قال : وعاتبه في لباسه فقال : ما لكم ولباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم (٣) .

---

(١) رواه أحمد في المسند [١ / ١٣٠] وقال الأرناؤوط : حسن لغيره .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٣٤] .

(٣) المصدر السابق .

وقال فطر : عن أبي الطفيل ، إن عليّاً رضي الله عنه تمثل :

اشدد حيازيمك للموت فإنَّ الموت لا قيكا
ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديكا

عن علي قال : أتاني عبد الله بن سلام ، وقد وضعت قدمي في الغرز فقال لي : لا تقدم العراق ، فإني أخشي أن يصيبك بها ذباب السيف .

قلت : وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ .

قال أبو الأسود : فما رأيت كاليوم قط محاربا يخبر بذا عن نفسه [1].

وعن الأصبغ الحنظلي ، قال : لمّا كانت اللّيلة الّتي أصيب فيها عليّ رضي الله عنه أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة ، فقام يمشي ، فلمّا بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه ، فخرجت أم كلثوم فجعلت تقول : ما لي ولصلاة الصبح ، قتل زوجي عمر صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة .

وعن ليلة قتل عليّ قال الحسن بن علي : خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلّي فقال لي : يا بني إن بتُّ البارحة أوقظ أهلي لأنّها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان فملكتني عيناي ، فَسَنَحَ لي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ ! فقال : « ادع عليهم » فقلت : اللّهمّ أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج ، وخرجتُ خلفه ، فاعتوره رجلان : أما أحدهما فوقعت ضربته في السدة ، وأما الآخر فأثبتها في رأسه .

وقال جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، أن عليّاً رضي الله عنه كان يخرج إلى الصلاة وفي يده دِرَّةٌ يوقظ الناس بها ، فضربه ابن مُلجم ، فقال على : أطعموه واسقوه ، فإنْ عشت فأنا وليّ دمي .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ / ١٤١] . وقال رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون .

رواه غيره وزاد : فإنْ بقيت قتلت أو عفوت ، وإن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا ، إنَّ اللّه لا يحب المعتدين .

وقال محمّد بن سعد لقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي ، فأعلمه بما عزم عليه من قتل على ، فوافقه ، قال : وجلسا مقابل السدة الّتي يخرج منها عليّ . قال الحسن وأتيته سَحَراً فجلست إليه ، فقال : إني ملكتني عيناي وأنا جالس فسنح لى النّبيّ ﷺ ، فذكر المنام المذكور .

قال : وخرج وأنا خلفه ، وابن النباح بين يديه ، فلمّا خرج من الباب نادي : أيها الناس الصلاة الصلاة ، وكذلك كان يصنع في كل يوم ، ومعه درته يوقظ الناس ، فاعترضه الرجلان فضربه ابن ملجم على دماغه ، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق ، وسمع الناس علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل. فشدّ النّاسُ عليهما من كل ناحية ، فهرب شبيب ، وأُخِذَ عبد الرحمن ، وكان قد سمّ سيفه .

ومكث عليّ يوم الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، لإحدي عشرة ليلة بقيت من رمضان . فلمّا دفن أحضروا ابن ملجم . . فاجتمع الناس ، وجاءوا بالنفط والبواري ، فقال محمّد بن الحنفيّة والحسين وعبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب : دعونا نشتفي منه ، فقطع عبد اللّه يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلم ، فكحل عينيه ، فلم يجزع ، وجعل يقول : إنك لتكحُل عيني عمك ، وجعل يقرأ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] حتّى ختمها ، وإن عينيه لتسيلان ، ثُمّ أمر به فعولج عن لسانه ليقطع ، فجزع ، فقيل له في ذلك . فقال : ما ذاك بجزع ، ولكني أكره أن أبقي في الدنيا فواقاً لا أذكر اللّه فقطعوا لسانه ثُمّ أحرقوه في قوصرة وكان أسمر ، حسن الوجه ، أفلج ، شعره مع شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود .

ويروى أن علياً رضي اللّه عنه أمرهم أن يحرقوه بعد القتل . وقال جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، قال : صلّى الحسن على عليّ ، ودُفِن بالكوفة . عند قصر الإمارة ، وعُمّي قبْره .

وعن أبي بكر بن عياش ، قال : عَمّوْهُ لئلا تنبشه الخوارج . وقال شريك ، وغيره : نقله الحسن بن عليّ إلى المدينة .

obeikandl.com

وذكر المبرد ، عن محمّد بن حبيب ، قال : أول من حُوّل من قبر إلى قبر علي .

وقال صالح بن أحمد النحوي : حدثنا صالح بن شعيب ، عن الحسن بن شعيب الفروي ، أن عليا رضي اللّه عنه صُيّر في صندوق ، وكثروا عليه الكافور ، وحمل على بعير ، يريدون به المدينة ، فلمّا كان ببلاد طيء ، أضلوا البعير ليلاً ، فأخذته طيء وهم يظنون أن في الصندوق مالاً ، فلمّا رأوه خافوا أن يُطلبوا ، فدفنوه ونحروا البعير فأكلوه .

وقال مطين : لو علمت الرافضة قبر من هذا الّذي يزار بظاهر الكوفة لرجمته ، هذا قبر المغيرة بن شعبة .

قال أبو جعفر الباقر : قتل علي رضي اللّه عنه وهو ابن ثمانٍ وخمسين . وعنه رواية أخرى أنّه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وكذا روي عن ابن الحنفيّة ، وقاله أبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش ، وينصر ذلك ما رواه ابن جريج عن محمّد ابن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، أنّه أخبره أن عليّاً توفي لثلاث أو أربع وستين سنة .

وعن جعفر الصادق ، عن أبيه ، قال : كان لعليّ سبع عشرة سُريّة .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن هبيرة بن يريم قال : خطبنا الحسن بن عليّ ، فقال : لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه إلّا الأولون بعلم ، ولا يدركه الآخرون، كان رسول اللّه ﷺ يعطيه الراية ، فلا ينصرف حتّى يفتح له ، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلّا سبع مائة درهم فضلت من عطائه ، كان أرصَدَها ، لخادم لأهله .

وقال أبو إسحاق عن عمرو الأصم ، قال : قلت للحسن بن عليّ إنّ الشيعة يزعمون أنّ عليّا مبعوث قبل يوم القيامة . فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بشيعة ، لو علمنا أنّه مبعوث ما زوجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه [١] .

ولو استوعبنا أخبار أمير المؤمنين رضي اللّه تعالى عنه لطال الكتاب [٢] .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٣٩] .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي [٣ / ٢٥١-٢٥٥] .

الحسن بن على

رضى الله تعالى عنهما

هو الحسن بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيّ الهاشميّ أبو محمّد سبط النّبيّ ﷺ وشبيهه يكني أبا محمّد .

أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النّبيّ ﷺ ، ويلقب بالتقي والسيد .

ولدُ منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، قال أبو عمرو : هذا أصح ما قيل ، وقيل في شعبان وقيل سنة أربع وقيل سنة خمس ، قال في الإصابة : والأول أثبت . سمّاه النّبيّ ﷺ الحسن ، وعقّ عنه يوم سابع ولادته ، وحلق شعر رأسه ، وتصدق بزنة شعره فضة وهو خامس أهل الكساء .

وقال أبو أحمد العسكري : سمّاه النّبيّ ﷺ الحسن وكنّاه أبا محمّد ولم يكنّ يُعرف هذا الاسم في الجاهلية .

ورُوي عن ابن الأعرابي عن الفضل قال : إنّ الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتّى سمي بهما النّبيّ ﷺ ابنيه الحسن والحسين .

قال فقلت له : والّذي باليمن ؟ قال ذاك حسْن بسكون السين ، وحَسِين بفتح الحاء وكسر السين ، ولا يعرف قبلهما إلّا اسم رملة في بلاد ضبة[1] .

قال عليّ : لمّا ولد الحسن رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ :

---

(١) قال ياقوت : الحسان تثنية الحسن - ضد القبيح - كثيبان معروفان في بلاد بني ضبة يقال لأحدهما الحسن وللآخر الحسين . والحسن شجر سُمي بذلك لحسنه ونسب الكثيب إليه فقيل نقا الحسن .

« أروني ابني ما سميتموه ؟ » . قلت : حرباً . قال : بل هو حَسَن ، فلمّا وُلد الحسين قال : « أروني ابني ما سميتموه ؟ » . قلت : حرباً قال : بل هو حسين . فلمّا وُلِد الثالث قال : « أروني ابني ما سميتموه ؟ » . قلت : حرباً ، قال : بل هو محسن . ثُمَّ قال : سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير وبشير . وفضائله كثيرة مشهورة .

وَلِي الخلافة بعد أبيه رضي الله تعالى عنهما لعشر ليال بقين من رمضان سنة أربعين من الهجرة ستة أشهر ، وبايعه أكثر من أربعين ألفاً ، ثُمَّ نزل عنها لمعاوية في النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقيل لخمس بقين من ربيع الأول وقيل في ربيع الآخر .

قال ابن الأثير يقول : من قال سنة إحدى وأربعين أصح ما قيل فيه ، وأما من قال بنزوله سنة أربعين فقدوهم ، وكان نزوله مصداق قول جده ﷺ « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين [١] » وأي شرف أعظم من شرف من سماه النَّبيّ ﷺ سيدا .

ورَوَى أبو القاسم البغوي والدولابي عن قابوس بن المخارق قال : إن أم الفضل قالت لرسول الله ﷺ : رأيت كأن عضوا من أعضائك في بيتي ، فقال رسول الله ﷺ : خيراً رأيتِ ، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن ابنك قثم . فولدت حسناً فأرضعته بلبن قثم . قالت فجئت به يوما إلى النَّبيّ ﷺ فوضعته في حجره فضرب كتفه ، فقال النَّبيّ ﷺ : لِم أرضعت ابني يرحمك الله ؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه [٢] » .

وعن البَراء رضي الله عنه قال : رأيت الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما على عاتق رسول الله ﷺ وهو يقول : « اللّهمَّ إني أحبه فأحبه [٣] » .

---

(١) رواه الطبراني في الصغير [٧٦٦] والكبير [٣/ ٣٤/ ٢٥٩٢] والحديث في البخاري [٣٧٤٦] بلفظ « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٢١/ ٥٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) أخرجه البخاري [٣٧٤٩] ومسلم [٢٤٢٢/ ٥٨] .

وعن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الحسن والحسين ويقول : « اللَّهمَّ إني أحِبُّهُمَا فأحِبَّهُمَا [١] » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ حاملاً للحسن على عاتقه فقال رجل : نعم المركب ركبت . فقال عليه الصلاة والسلام : نعم الراكب هو [٢] .

ورَوَى الإمام أحمد في المناقب عن أبي زهر بن الأرقم - رجل من الأزد - رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي : « من أحبني فليحبه ، فليبلِّغ الشاهد الغائب » . ولولا عزيمة رسول الله ﷺ ما حدثتكم [٣] .

ورَوَى الطيالسي والبزار وابن عساكر عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحبني فليحب هذا » يعني الحسن .

ورَوَى ابن حبان عن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله ﷺ يقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر ويقول : « اللَّهمَّ إني أرحَمُهُما فارْحَمْهُمَا [٤] » .

ورَوَى الدولابي عن محمَّد بن عبد المؤمن مولى بني هاشم أن النَّبيّ ﷺ رأي الحسن مقبلا ، فقال : « اللَّهمَّ سلمه وسلم منه » .

ورَوَى أبو سعيد بن الأعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا زلت أحب هذا الرجل - يعني حسنا - بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع ، رأيت الحسن في حجر رسول الله ﷺ وهو يدخل لسانه في فمه أو لسان الحسن في فمه ، ثُمَّ قال : « إني أُحِبه فأَحِبَّه وأَحِبَّ من يُحبه » .

ورَوَى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه رأي الحسن بن علي رضي الله عنهما في بعض طرق المدينة فقال : اكشف عن بطنك فداك أبي حتَّى أقبل

---

(١) أخرجه البخاري [٣٧٤٧] .
(٢) رواه الترمذي [٣٧٨٤] وضعفه الألباني [٧٩٠] .
(٣) رواه أحمد في المسند [٥/ ٣٦٦] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه [٦٩٦١] وقال الأرناؤوط : حديث صحيح .

حيث كان رسول الله ﷺ يقبل ، فكشف له عن بطنه فقبّل سرته [١] .

ورَوَى ابن أبي الدنيا وأبو بكر الشافعي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : رأيت الحسن بن علي يأتي رسول الله ﷺ وهو ساجد فيركبه على ظهره فما ينزله حتّى يكون هو الّذي ينزل ، ويأتي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتّى يخرج من الجانب الآخر .

ورَوَى أبو سعيد الأعرابيّ عن سعيد رضي الله عنه تعالى قال : جاء الحسن إلى النّبيّ ﷺ وهو ساجد ، فركب على ظهره ، فأخذه النّبيّ ﷺ بيده ، فأقامه على ظهره ثُمّ ركع ثُمّ أرسله فذهب .

ورَوَى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمّد بن معشر اليربوعي قال : قال عليّ للحسن ابنه رضي الله عنهما : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع . قال : بيّن . قال : اليقين ما رأته عينك ، والإيمان ما سمعته أذنك ، وصدقت به .

قال علي أشهد أنك ممن أنت منه ، ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ٣٤].

ورَوَى الدولابي عن زيد بن الحسن رضي الله تعالى عنهما قال : خطب الحسن رضي الله تعالى عنه الناس حين قُتل أبوه رضي الله عنه فحمد الله وأثني عليه ثُمّ قال : لقد قُبض في هذه اللّيلة رجل لم يسبقه الأولون ولم يشركه الآخرون ، وكان رسول الله ﷺ يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فما يرجع حتّى يفتح الله عزّ وجلّ عليه ، ما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلّا أربعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله . ثُمّ قال : يا أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ ، وأنا ابن الوصي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن المنذر وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله محبتهم علي كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى : ٢٣] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

---

(١) رواه أحمد في المسند [٢/ ٤٨٨] ، وابن حبان في صحيحه [٦٩٦٥] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .

obeikandl.com

قال صاحب السيرة الشامية : بايعه أكثر من أربعين ألفاً . وقال صالح ابن الإمام أحمد سمعت أبي يقول : بايع الحسن تسعون ألفاً بتقديم التاء فترك الخلافة وصالح معاوية لمّا سار إليه من الشام وسار إلى معاوية ، فلمّا تقاربا أرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر على أن تكون الخلافة له بعده ، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز بشيء ممّا كان في أيام بني أمية وغير ذلك .

وظهرت المعجزة النبوية في قوله عليه الصلاة والسلام : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1] .

ولم يسفك في أيامه محجمة دم وهي نحو سبعة أشهر ، وكان صلحهما لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقيل في النصف من جمادى الأولى من السنة المذكورة على الخلاف المتقدم في ذلك ، فإنّ مدة الخلافة الّتي ذكرها عليه الصلاة والسلام انتهت بخلافته ولم يبق إلّا الملك ، وقد صان الله تعالى أهل البيت منه .

قال أبو بشر الدولابي : أقام الحسن رضي الله تعالى عنه بالكوفة إلى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقتل عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تعالى ، ويقال أنّه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فنَدَرَتْ ، وقتله . ثُمّ سار إلى معاوية فالتقيا بمسكنٍ من أرض الكوفة كما تقدم نقل ذلك عن الذهبيّ ، واصطلحا ، وسلم إليه الأمر ؛ وبايع له لخمس بقين من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وأخذ منه خمسمائة ألف كما تقدم نقل ذلك عن الذهبي .

ورَوَى أبو نعيم وغيره عن الشعبي رحمه الله أنّه قال : أما بعد فإنّ أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور وإن هذا الأمر الّذي اختلفتُ عليه أنا ومعاوية إنّما هو حق لامرئ ، فإنْ كان له فهو أحق بحقه ، وإن كان لي فقد تركته له إرادة صلاح الأمة وحقن دمائهم ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ثُمّ نزل .

قلت رأيت في المسعودي : أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن

---

(١) سبق تخريجه .

يأمر الحسن فيخطب ، فكره معاوية ذلك ، فألزمه عمرو وقال : أريد أن يبدو عيه في الناس ، فإنّه يتكلم في أمور لا يدري ما هي . فأمر معاوية الحسن فقام وتشهد في بديهته ثُمَّ قال : يا أهل الكوفة لو لم تذهل نفسي إلّا لثلاث لذهلت : مقتلكم أبي ، ونهبكم رحلي ، وطعنكم فخذي . وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا .

ومن مناقبه جوده وزهده في الدنيا ، وقوله : إني لأستحيي من اللّه عزّ وجلّ أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمشى عشرين حجة من المدينة على رجليه ، وإنَّ الجنائب لتقاد بين يديه . وخرج من ماله مرتين ، وقاسم اللّه ثلاث مرات حتّى إنّه كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً .

وقال محمّد بن سيرين : ربّما كان يجير الواحد بمائة ألف . واشترى حائطاً من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف ، وإنه بلغه أنّهم احتاجوا إلى ما في أيدي الناس فرده إليهم . ولم يقل لسائل قطّ لا ، ولا يأنس به أحد فيدعه يحتاج إلى غيره . ورأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هنالك لقمة ، فقال : ما يحملك على هذا ؟ فقال الغلام : إني أستحيي أن آكل ولا أطعمه ، فقال الحسن : لا تبرح حتّى آتيك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الّذي هو فيه وأعتقه وملّكه الحائط ، فقال الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني إليه .

وكان الحسن سيداً حليماً زاهداً عاقلاً فاضلاً فصيحاً ذا سكينة ووقار جواداً يكره الفتنَ وسفك الدماء ، دعاه ورعه وزهده إلى ترك الخلافة ، وقال : خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفا أو أكثر تنضح أوداجهم دماً .

وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأكرمهم وأجودهم وأطيبهم كلاماً ، وأكثرهم حياءاً ، وكان أكثر دهره صائماً ، وكان فعله يسبق قوله في المكارم والجود ، وكان كثير الافضال على إخوانه لا يغفل عن أحد منهم ولا يحوجه إلى أن يسأله ، بل يتقدمه بالعطاء قبل السؤال .

وقال لأصحابه : إني أخبركم عن أخ كان من أعظم الناس في عيني ، وكان الّذي عظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطشه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر إذا وجد انتهى .

وما سُمع من الحسن كلمة فحش قط ، وأعظم ما سمع منه أنّه كان بينه وبين شخص خصومة فقال : إنّه ليس عندنا إلّا ما رغم أنفه . قلت هذا الشخص المبهم هو « مروان بن الحكم الأموي » .

وقيل له : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إليّ من الغني ، والسقم أحب إليّ من الصحة ، فقال : رحم اللّه أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار اللّه عزّ وجلّ لم يتمن غير الحالة الّتي اختارها اللّه عزّ وجلّ . وهذا أخذ الوقوف على الرضي بما يصرف به القضاء

ومن كلامه رضي اللّه تعالى عنه : كنْ في الدنيا ببدنك ، وفي الآخرة بقلبك . وكان يقول لبنيه وبني أخيه تعلّموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه - أو قال يرويه - فليكتبه وليضعه في بيته .

ورأي سيدنا أبو بكر الحسن رضي اللّه تعالى عنهما وهو يلعب مع الصبيان فحمله أبو بكر على عاتقه وقال : بأبي شبيه بالنّبيّ ﷺ ليس شبيها بعلي ، وعلي رضي اللّه تعالى عنه يتبسم (١) .

وقد كان أبو بكر الصديق رضي اللّه تعالى عنه يُجلّه ويعظّمه ويحترمه ويكرمه ، وكذلك عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه .

وقد جاء الحسن والحسين يوم الدار وعثمان محصور ومعهما السلاح ليقاتلا عن عثمان فخشي عثمان عليهما وأقسم عليهما ليرجعان إلى منازلهما ، تطييباً لقلب علي وخوفاً عليهما ، وكان علي رضي اللّه تعالى عنه وكرم وجهه ، أرسلهما وأمرهما بذلك ، وكان علي يكرم الحسن إكراما زائداً ويعظّمه ويبجّله .

وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ويرى هذا من النعم .

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما ممّا يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي اللّه تعالى عنهما وأرضاهما .

❁❁❁

(١) سيأتي تخريجه صفته رضي اللّه تعالى عنه .

خلافته

رضي الله تعالى عنه

قال الحافظ الذهبي في تاريخه دول الإسلام قال جرير بن حازم : بايع أهل الكوفة الحسن بن عليّ بعد أبيه وأحبوه أكثر من أبيه ، ثُمَّ سار حتّى نزل بالمدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً ، فبينما الحسن بالمدائن إذ نادى منادٍ : ألا إن قيساً قد قُتل .

فاختبط الناس ، وانتهبت الغوغاء سرادق الحسن ، حتّى نازعوه بساطه تحته ، وطعنه رجل من الخوارج بخنجر مسموم في فخذه فوثب الناس على الرجل فقتلوه لا رحمه الله ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن وكاتب معاوية في الصلح .

ورُوي أنّه لمّا خلع نفسه قام فيهم فقال : ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم ، لكنّ كنتم في مسيرتكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم ، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم . وتوجّع الحسن من تلك الطعنة ثُمَّ عوفي ولله الحمد .

ثم سار الحسن يريد الشام ، وأقبل معاوية وكان اجتماعهما بمسكنّ وهي من أرض السواد من ناحية الأنبار .

قال الحسن البصري : استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص : والله إني لأرى كتائب لا تولى أو تقتل أقرانها .

فقال معاوية وكان خير الرجلين : أرأيت إن قُتِل هؤلاء من لي بذراريهم ، من لي بأمورهم ، من لي بنسائهم ؟ قال : فبعث عبد الرحمن بن ميسرة فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له وبايعه بالخلافة على شروط اشترطها ووثائق ، وحمل إليه معاوية مالاً ، يُقال خمسمائة ألف .

obeikandi.com

وقال أبو العريف : لمّا ورد الحسن إلى الكوفة بعد مبايعته معاوية ، قال له رجل من همدان يُقال له أبو عامر : السلام عليك يا مُذِلَّ المسلمين .

فقال : لستُ بِمذِلِّ المسلمين ، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك .

ثم قال له آخر : يا عار المسلمين . فقال : العار خيرٌ من النار .

ثم إنَّ الحسن رضي اللّه تعالى عنه رجع مع آل بيته من الكوفة ونزل المدينة وسمي هذا العام المذكور وهو عام إحدى وأربعين « عام الجماعة » لاجتماع الأمة على خليفة واحد هو معاوية بعد نزول الحسن رضي اللّه تعالى عنه له بها .

❁❁❁

obeikandl.com

صفته

رضي الله تعالى عنه

كان أبيض اللون ، مشربا بالحمرة ، أدعج العينين ، سهل الخدين ، دقيق المسربة ، ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ، من أحسن الناس وجها ، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ من تحت الصدر إلى الرأس (١) .

عُمِّر سبعاً وأربعين سنة وقيل ثماني وأربعون ، كان منها مع جده رسول الله ﷺ سبع سنين ، ومع أبيه علي بعد وفاة رسول الله ﷺ ثلاثين سنة ، وعاش بعد وفاة أبيه عليّ كرم الله وجهه إلى حين وفاته رضي الله تعالى عنه عشر سنين ، مدة خلافته منها ستة أشهر وثلاثة أيام .

أولاده تسعة عشر ولداً : تسعة ذكور ، الحسن ، وزيد ، وحسين الأثرم ، وعبد الله ، وأبو بكر ، وعبد الرحمن ، والقاسم ، وطلحة ، وعمر ، قاله البلاذري .

وذكر المحب الطبري في ذخائر العقبي نقلاً عن الدولابي أنهم خمسة : الحسن ، وزيد ، وعبيد الله ، وعمر ، وابراهيم .

وعن أبي بكر بن الدارع أنهم أحد عشر ذكراً وبنت : عبد الله القاسم ، والحسن ، وزيد ، وعمر ، وعبيد الله ،وعبد الرحمن ، وأحمد ، وإسماعيل ، والحسين ، وعقيل ، والأنثى أم الحسن .

---

(١) أخرجه البخاري [٣٧٥٠] عن عقبة بن حارث رضي الله تعالى عنه قال : « رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول شبيه بالنبيّ ، ليس بشبيه بعلي ، وعلي يضحك » .

وفي رواية له [٣٧٥٢] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : « لم يكنْ أحد أشبه بالنبيّ ﷺ من الحسن بن علي » .

obeikandi.com

وعلى كل الروايات العقب منه في رجلين فقط هما زيد والحسن المثني . وكان قد أعقب أيضا من الحسين الأثرم وعمر ، لكنَّ انقرض عقبهما فلم يبق للحسن السبط إلّا من هذين الشخصين الحسن المثني ، وزيد ابني الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه .

obeikandl.com

الحسين الشهيد

الإمام الشريف الكامل ، سبط رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، وريحانته من الدنيا ، ومحبوبه . أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي

حدَّث عن جده ، وأبويه ، وصهره عمر ، وطائفة . حَدث عنه : ولداه عليٌ وفاطمة ، وعبيد بن حنين ، وهمام الفرزدق ، وعكرمة ، والشعبيُّ ، وطلحة العقيلي ، وابن أخيه زيد بن الحسن ، وحفيده محمَّد بن عليٌ الباقر ، ولم يدركه ، وبنته سكينة ، وآخرون .

قال الزبير : مولده في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة . قال جعفر الصادق : بين الحسن والحسين في الحمل طهرٌ واحدٌ .

قد مرت في ترجمة الحسن عدة أحاديث متعلقة بالحسين .

رَوَى هانئ بن هانئ ، عن عليٌ رضي الله تعالى عنه ، قال : الحسين أشبه برسول الله صلَّى الله عليه وسلم من صدره إلى قدميه [١] .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، قال : شهدت ابن زياد حين أُوتِي برأس الحسين ، فجعل ينكت بقضيب معه ، فقلت : أما إنَّه كان أشبههما بالنَّبيِّ ﷺ [٢] .

---

(١) رَوَى الترمذي [٣٧٧٩] وضعفه الألباني ؛ عن علي رضي الله تعالى عنه قال : الحسن أشبه برسول الله ﷺ بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك » .

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة [٢/ ٧٨٤/ ١٣٩٤] ، والترمذي بلفظ : عن أنس بن مالك قال : كنت عند ابن زياد فجئ برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيت مثل هذا حُسناً ، قال قلت : أما إنَّه كان من أشبههم برسول الله ﷺ وصححه الألباني .

obeikandi.com

وعن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : رأيت الحسين بن علي أسود الرأس واللحية إلّا شعراتٍ في مقدم لحيته .

وعن ابن أبي نعم ، قال : كنت عند ابن عمر ، فسأله رجل عن دم البعوض ، فقال : ممن أنت فقال : من أهل العراق . قال : انظر إلى هذا يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هما ريحانتاي من الدنيا »[١] .

وعن أبي أيوب الأنصاري ، قال : دخلت على رسول الله ﷺ ، والحسن والحسين يلعبان بين يديه وفي حجره ، فقلت : يا رسول الله ! أتحبهما ؟ قال : « كيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا »[٢] .

وعن أبي هريرة قال : كان الحسين عند النبي ﷺ ، وكان يحبه حباً شديداً ، فقال : « اذهب إلى أمك » فقلت : أذهب معه ؟ فقال : « لا » فجاءت برقة ، فمشى في ضوئها حتّى بلغ[٣] .

وعن جابر أنّه قال - وقد دخل الحسين المسجد - : « من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا » سمعته من رسول الله ﷺ[٤] .

وعن أم سلمة : أن النبي صلّى الله عليه وسلم جَلّلَ علياً وفاطمة وابنيهما بكساء ، ثم قال : « اللّهمّ هؤلاء أهل بيت بنتي وحامتي »[٥] اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا » . فقلت : يا رسول الله ! : أنا منهم ؟ قال : « إنك إلى خير »[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري [٣٥٤٣] والترمذي واللفظ له وصححه الألباني .

(٢) رواه الطبراني في الكبير [٤/ ١٥٥/ ٣٩٩٠] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : [٩/ ١٨١] فيه الحسن بن عتبة . وهو ضعيف .

(٣) رواه الطبراني في الكبير [٣/ ٥٢/ ٢٦٦٠] الهيثمي في المجمع [٩/ ١٨٦] وفيه موسى بن عثمان وهو متروك .

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة [٢/ ٧٧٥/ ١٣٧٢] وقال الهيثمي في المجمع [٩/ ١٨٧] : رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد وهو ثقه .

(٥) حامة الإنسان : خاصته وما يقرب منه ، وهو الحميم أيضاً .

(٦) رواه الترمذي [٣٢٠٥، ٣٧٨٧] وغيره ، وقال الأرناؤوط : حديث صحيح بطرقه وشواهده . [سير أعلام النبلاء : ٣/ ٢٥٤] .

obeikandl.com

عن يعلى العامري ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « حسينٌ سبطٌ من الأسباط ، من أحبني فليحب حسيناً . وفي لفظ : أَحَبَّ اللَّهُ من أحبَّ حُسَيْناً »[١] .

وعن عبد الله : رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين ، ويقول : « هذان ابناي ، فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني »[٢] .

عن جعفر بن محمَّد ، عن أبيه ، قال : قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع الجنائز فطلع الحسن والحسين فاعتركا فقال النَّبيّ ﷺ : « إيهاً حسن » . فقال علي : يا رسول الله ! أعلى حسين تواليه ؟ فقال : « هذا جبريل يقول : إيهاً حسين »[٣] .

وعن عبيد بن حنين ، عن الحسين ، قال : صعدت المنبر إلى عمر فقلت : انزل عن منبر أبي ، واذهب إلى منبر أبيك . فقال : إن أبي لم يكنْ له منبر ! فأقعدني معه فلمَّا نزل ، قال : أي بني ! من علَّمك هذا ؟ قلت : ما علمنيه أحد . قال : أي بُنيَ ! وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلَّا الله ثُمَّ أنتم ! ووضع يده على رأسه ، وقال : أي بُنيّ ! لو جعلت تأتينا وتغشانا[٤] .

ورَوَى جعفر بن محمَّد ، عن أبيه : أن عمر جعل للحسين مثل عطاء عليّ خمسة آلاف .

وعن الزهري : أن عمر كسا أبناء الصحابة ؛ ولم يكنْ في ذلك ما يصلح للحسن والحسين ؛ فبعث إلى اليمن ، فأوتي بكسوة لهما ، فقال : الآن طابت نفسي .

---

(١) رواه الترمذي [٣٧٧٥] وصححه الألباني .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع [٩/ ١٨٠] ، وعزاه للبزار ، وحسنه الأرناؤوط في سير أعلام النبلاء : [٣/ ٢٥٤] .

(٣) قال الأرناؤوط : هو على إنقطاعه ضعيف جداً ؛ لضعف عليّ بن أبي على اللهبي . سير أعلام النبلاء : [٣/ ٢٨٤] .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخه » [١/ ١٤١] ، وذكره الحافظ في « الإصابة » : [١/ ٣٣٣] وصحح إسناده .

عن محمّد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، أن عمر ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما لقرابتهما من رسول الله ﷺ ، لكل واحد خمسة الآف .

وعن العيزار بن حريث ، قال : بينا عمرو بن العاص في ظل الكعبة ، إذ رأي الحسين ، فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وعن الأزرق بن قيس ، قال : قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم أسقف نجران والعاقب [١] ، فعرض عليهما الإسلام ، فقالا : كنا مسلمين قبلك . قال : « كذبتما ! إنّه منع الإسلام منكما ثلاث ؛ قولكما : اتخذ الله ولدا ، وأكلكما الخنزير ، وسجودكما للصنم » .

قالا : فمن أبو عيسى ؟ فما عرف حتّى أنزل الله عليه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران : ٥٩-٦٢] ، فدعاهما إلى الملاعنة [٢] وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين ، وقال : هؤلاء بنيّ قال : فخلا أحدهما بالآخر ، فقال : لا تلاعنه ، فإنْ كان نبياً ، فلا بقية ، فقالا : لا حاجة لنا في الإسلام ولا في ملاعنتك ، فهل من ثالثة ؟ قال : نعم ؛ الجزية فأقرا بها ، ورجعا [٣] .

وعن سعيد بن عمرو ؛ أن الحسن قال للحسين : وددت أن لي بعض شدة قلبك ، فيقول الحسين : وأنا وددت أن لي بعض ما بسط من لسانك .

وعن أنس ، قال : استأذن ملك القطر على النّبيّ ﷺ ، فقال النّبيّ ﷺ : « يا أم سلمة ! احفظي علينا الباب » فجاء الحسين ، فاقتحم ، وجعل يتوثب على النّبيّ ﷺ ورسول الله يقبله . فقال الملك : أتحبه ؟ قال : « نعم » . قال : إن أمتك ستقتله ، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه .

---

(١) هو أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذين لا يصدرون إلّا عن رأيه وأمره .

(٢) الملاعنة : وهي التي جاءت في الآية الكريمة ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١] .

(٣) أورده السيوطي في « الدر المنثور [٢/ ٣٨] ونسبه لابن سعد وعبد بن حميد . وانظر ابن كثير [١/ ٣٧٠، ٣٧١] .

قال : « نعم » ، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر [١] . قال ثابت : كنا نقول : إنها كربلاء .

عن أم سلمة أن رسول اللّه ﷺ اضطجع ذات يوم ، فاستيقظ وهو خائر ، ثُمَّ رقد ، ثُمَّ استيقظ خائراً ، ثُمَّ رقد ، ثُمَّ استيقظ ، وفي يده تربة حمراء ، وهو يقلبها .

قلت : ما هذه ؟ قال : أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق ، للحسين ، وهذه تربتها [٢] .

عن ابن عباس ، قال : استشارني الحسين في الخروج . فقلت : لولا أن يزري بي وبك ، لنشبت يدي في رأسك . فقال : لأنْ أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن أستحل حرمتها ، يعني مكة . وكان ذلك الذي سلي نفسي عنه [٣] .

عن الشعبي قال : كان ابن عمر قدم المدينة ، فأُخبِرَ أن الحسين قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين . فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، ومعه طوامير وكتب ، فقال : لا تأتهم . قال : هذه كتبهم وبيعتهم . فقال : إنَّ اللّه خيَّر نبيه بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، وإنكم بضعة منه ، لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها اللّه عنكم إلّا للذي هو خير لكم ، فارجعوا ، فأبي ، فاعتنقه ابن عمر ، وقال : أستودعك اللّه من قتيل [٤] .

وعن بشر بن غالب ، أن ابن الزبير قال للحسين : إلى أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك ، وطعنوا أخاك ؟ فقال : لأنْ أُقْتَل أحب إليّ من أن تُستَحلّ ، يعني مكة [٥] .

---

(١) رواه أحمد في المسند [٣/ ٢٤٢، ٢٥٢] وفيه عمارة بن زاذان كثير الخطأ ، وبقية رجاله ثقاة ، وقال الأرناؤوط : اسناده ضعيف .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك [٤/ ٤٤٠/ ٨٢٠٢] والطبراني في الكبير [٢٨٢١] وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع [٩/ ١٩٢] . وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٤) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٢] .

(٥) ذكره ابن كثير في « البداية » [٨/ ١٦١] .

obeikandl.com

عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، وسمي طائفة ، ثُمَّ قال : فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين . قال : كان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية ، كل ذلك يأبى ، فقدم منهم قوم إلى محمَّد بن الحنفيَّة ، وطلبوا إليه المسير معهم ، فأبى وجاء إلى الحسين ، فأخبره ، وقال : إنَّ القوم يريدون أن يأكلوا بنا ، ويشيطوا دماءنا ، فأقام حسين على ما هو عليه متردد العزم ، فجاءه أبو سعيد الخدري ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني لك ناصح ومشفق ، وقد بلغني أنَّه كاتبك قوم من شيعتك ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة والله لقد مللتهم وملّوني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وما بلوت منهم وفاء آ، ولا لهم ثبات ولا عزم ولا صبر على السيف [١] .

قال : وقدم المسيب بن نجبة وعدة إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدعوه إلى خلع معاوية ، وقالوا : قد علمنا رأيك ورأي أخيك ، فقال : أرجو أن يعطي الله أخي على نيته ، وأن يعطيني على نيتي في حُبي جهاد الظالمين [٢] .

وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمن أن يكون الحسين مرصدا للفتنة ، وأظن يومكم منه طويلا [٣] .

فكتب معاوية إلى الحسين : إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير أن يفي ، وقد أنبئت بأن قوماً من الكوفة دعوك إلى الشقاق ، وهم من قد جربت ، قد أفسدوا على أبيك وأخيك ، فاتقِ الله ، واذكر الميثاق ، فإنك متى تكِدني ، أكِدْكَ [٤] .

فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك ، وأنا بغير الذي بلغك جدير ، وما أردت لك محاربة ولا خلافا ، وما أظن لي عذراً تُمّ الله في ترك جهادك ، وما

(١) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٢٩، ٣٣٠] .
(٢) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٠] .
(٣) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٠] .
(٤) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٠] .

أعلم فتنة أعظم من ولايتك . فقال معاوية : إن أثرنا بأبي عبد الله إلّا أسدا [١] .

قالوا : ولمّا حضر معاوية ، دعا يزيد ، فأوصاه ، وقال : انظر حسيناً ، فإنّه أحب الناس إلى الناس ، فصِل رحمه ، وارفق به ، فإنْ يَكُ منه شيء ، فسيكفيك الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه .

ومات معاوية في نصف رجب ، وبايع الناس يزيد ، فكتب إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أن ادع الناس وبايعهم ، وابدأ بالوجوه ، وارفق بالحسين ، فبعث إلى الحسين وابن الزبير في اللّيل ، ودعاهما إلى بيعة يزيد ، فقالا : نصبح وننظر فيما يعمل الناس . ووثبا ، فخرجا . وقد كان الوليد أغلظ للحسين ، فشتمه حسين ، وأخذ بعمامته ، فنزعها ، فقال الوليد : إن هجنا بهذا إلّا أسداً . فقال له مروان أو غيره : اقتله . قال : إنّ ذلك لدم مصون [٢] .

وخرج الحسين وابن الزبير لوقتهما إلى مكة ، ونزل الحسين بمكة دار العباس ، ولزم عبد الله الحجر ، ولبس المعافري [٣] ، وجعل يحرض عليّ بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ، ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتكم . وكان ابن عباس ينهاه [٤] .

وقال له عبد الله بن مطيع : فداك أبي وأمي ، متعنا بنفسك ولا تسر ، فوالله لئن قتلت ليتخذونا خولاً وعبيدا [٥] .

ولقيهما عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة منصرفين من العمرة ، فقال لهما : أُذَكِّركما الله إلّا رجعتما ، فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس وتنظران ، فإنّ اجتمع عليه الناس لم تَشُذّا ، وإن افترق عليه كان الذي تريدان [٦] .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي [٢/ ٣٤١] .
(٢) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٠] .
(٣) المعافري : « برود باليمن منسوبة إلى قبيلة « معافر » .
(٤) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣١] .
(٥) طبقات ابن سعد [٥/ ١٤٥] و« تهذيب ابن عساكر » [٤/ ٣٣١] .
(٦) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣١] .

obeikandl.com

وكتبت إليه عمرة تعظم ما يريد أن يصنع ، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه وتقول : حدثتني عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل حسين بأرض بابل » . فلمّا قرأ كتابها ، قال : فلا بد إذن من مصرعي [١] .

وكتب إليه عبد الله بن جعفر يحذره ويناشده الله . فكتب إليه : إني رأيت رؤيا ، رأيت فيها رسول الله ﷺ ، وأمرني بأمر أنا ماض له [٢] .

وأبي الحسين على كل من أشار عليه إلّا المسير إلى العراق [٣] . وقال له ابن عباس إني لأظنك ستُقْتَل غدا بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان ، وإني لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون [٤] .

وقال أبو بكر بن عياش : كتب الأحنف إلى الحسين : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] .

وعن لَبَطَة بن الفرزدق عن أبيه قال : لقيت الحسين ، فقلت : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية [٥] .

ورَوَى ابن سعد بأسانيده : قالوا : وأخذ الحسين طريق العذيب [٦] ، حتّى نزل قصر أبي مقاتل [٧] ، فخفق خفقة ، ثُمَّ استرجع ، وقال : رأيت كأن فارساً يسايرنا ، ويقول : القوم يسيرون ، والمنايا تسري إليهم .

ثم نزل كربلاء ، فسار إليه عمر بن سعد كالمكره إلى أن قال : وقتل أصحابه حوله ، وكانوا خمسين ، وتحول إليه من أولئك عشرون ، وبقي عامة نهاره لا يقدم عليه أحد ، وأحاطت به الرجالة ، وكان يشد عليهم ، فيهزمهم ، وهم يكرهون الإقدام عليه ، فصرخ بهم شمر ! ثكلتكم أمهاتكم ، ماذا تنتظرون به ؟

---

(١) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٢، ٣٣٣] .
(٢) تاريخ الطبري [٥/ ٣٨٨] .
(٣) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٣] .
(٤) تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٣٤] .
(٥) انظر الطبري [٥/ ٣٨٦] .
(٦) قال ياقوت : العذيب : ماء بين القادسية ، والمغيثة .
(٧) في الطبري [٥/ ٤٠٧] ، وابن الأثير [٤/ ٥٠] .

وطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته ، ثُمّ طعنه في صدره فخرّ ، واحتزّ رأسه خولي الأصبحي لا رضي الله عنهما .

وذكر ابن سعد بأسانيد له . قالوا : قدم الحسين مسلماً ، وأمره أن ينزل على هانئ بن عروة ، ويكتب إليه بخبر الناس ، فقدم الكوفة مستخفياً ، وأتته الشيعة ، فأخذ بيعتهم ، وكتب إلى الحسين : بايعني إلى الآن ثمانية عشر ألفاً ، فعجّل ، فليس دون الكوفة مانع ، فأعدّ السير حتّى انتهى إلى زبالة [1] ، فجاءت رسل أهل الكوفة إليه بديوان فيه أسماء مائة ألف ، وكان على الكوفة النعمان بن بشير ، فخاف يزيد أن لا يقدم النعمان على الحسين . فكتب إلى عبيد الله وهو على البصرة . فضم إليه الكوفة ، وقال له : إن كان لك جناحان ، فطر إلى الكوفة ! فبادر متعمماً متنكراً ومَرّ في السوق ، فلمّا رآه السفلة ، اشتدوا بين يديه : يظنونه الحسين ، وصاحوا : يا ابن رسول الله ! الحمد لله الذي أراناك ، وقبلوا يده ورجله ، فقال : ما أشد ما فسد هؤلاء ثُمّ دخل المسجد ، فصلّى ركعتين ، وصعد المنبر وكشف لثامه ، وظفر برسول الحسين . وهو عبد الله بن بقطر ، فقتله وقدم مع عبيد الله ؛ شريك بن الأعور- شيعي- ؛ فنزل على هانئ بن عروة ، فمرض ، فكان عبيد الله يعوده ، فهيؤوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً ليغتالوه ، فلم يتم ذلك . وفهم عبيد الله ، فوثب وخرج ، فنَمّ عليهم عبدٌ لهانئ ، فبعث إلى هانئ ، وهو شيخ ، فقال : ما حملك على أن تجير عدوي ؟ قال : يا ابن أخي ، جاء حق هو أحق من حقك ، فوثب إليه عبيد الله بالعنزة حتّى غرز رأسه بالحائط .

وبلغ الخبر مسلماً ، فخرج في نحو الأربع مئة ، فما وصل إلى العصر ، إلّا في نحو الستين ، وغربت الشمس ، فاقتتلوا ، وكثر عليهم أصحاب عبيد الله وجاء الليل ، فهرب مسلم ، فاستجار بامرأة من كندة ، ثُمّ جيء به إلى عبيد الله ، فقتله ؛ فقال : دعني أوص . قال : نعم . فقال لعمر بن سعد : يا هذا ! إن لي إليك حاجةً ، وليس هنا قرشي غيرك ، وهذا الحسين قد أظلك ،

(١) قال ياقوت : زبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة .

فأرسل إليه لينصرف ، فإنَّ القوم قد غرُّوه ، وكذبوه ، وعليَّ دَيْنٌ فاقْضِهِ عني ، ووَارِ جثتي ، ففعل ذلك . وبعث رجلاً على ناقة إلى الحسين ، فلقيه على أربع مراحل ، فقال له ابنه عليُّ الأكبر : ارجع يا أبه ، فإنَّهم أهل العراق وغدرهم وقلة وفائهم . فقالت بنو عقيل : ليس بحين رجوع ، وحرضوه ، فقال حسين لأصحابه : قد ترون ما أتانا ، وما أرى القوم إلَّا سيخذلوننا ، فمن أَحَبَّ أن يرجع ، فليرجع ، فانصرف عنه قوم .

وأما عبيد الله فجمع المقاتلة ، وبذل لهم المال ، وجهَّز عمر بن سعد في أربعة آلاف ، فأبي ، وكره قتال الحسين ، فقال : لئن لم تسر إليه لأعزلنَّك ، ولأهدمنَّ دارك ، وأضرب عنقك . وكان الحسين في خمسين رجلاً ، منهم تسعة عشر من أهل بيته ، وقال الحسين : يا هؤلاء ! دعونا نرجع من حيث جئنا . قالوا : لا وبلغ ذلك عبيد الله ، فهمَّ أن يخلي عنه ، وقال : والله ما عرض لشيء من عملي ، وما أراني إلَّا مخلٍ سبيله يذهب حيث يشاء ، فقال شمر : إن فعلت ، وفاتك الرجل ، لا تستقيلها أبدا . فكتب إلى عمر :

الآنَ حيثُ تعلقَّتْهُ حبالُنا يرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مناصِ[1]

فناهضه ، وقال لشمر : سر فإنَّ قاتل عمر ، وإلَّا فاقتله ، وأنت على الناس وضبط عبيد الله الجسر ، فمنع من يجوزه لمَّا بلغه أن ناساً يتسللون إلى الحسين .

قال : فركب العسكر ، وحسين جالس ، فرآهم مقبلين ، فقال لأخيه عباس : القهم فسلهم : ما لهم ، فسألهم ، قالوا أتانا كتاب الأمير يأمرنا أن نعرض عليك النزول على حكمه ، أو نناجزك . قال : انصرفوا عنا العشية حتى ننظر الليلة ، فانصرفوا .

وجمع حسين أصحابه ليلة عاشوراء ، فحمد الله ، وقال : إني لا أحسب القوم إلَّا مقاتليكم غدا ، وقد أذنت لكم جميعا ، فأنتم في حلٍ

(١) رواية الشطر الأول في الطبري [٥/ ٤١١] ، وابن الأثير [٤/ ٥٣] : الآن إذ علقت مخالبنا به .

مني ، وهذا اللّيل قد غشيكم ، فمن كانت له قوة ، فليضم إليه رجلاً من أهل بيتي ، وتفرقوا في سوادكم ، فإنهم إنما يطلبونني ، فإذا رأوني ، لهوا عن طلبكم . فقال أهل بيته : لا أبقانا اللّه بعدك والله لا نفارقك ، وقال أصحابه كذلك (١) .

فلمّا أصبحوا ، قال الحسين: اللّهمّ أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت فيما نزل بي ثقة ، وأنت وليُّ كل نعمة ، وصاحب كل حسنة .

وقال لعمر وجنده : لا تعجلوا والله ما أتيتكم حتّى أتتني كتب أماثلكم بأن السنة قد أميتت ، والنفاق قد نجم ، والحدود قد عُطّلت ، فاقدم لعل اللّه يصلح بك الأمة . فأتيت ؛ فإذا كرهتم ذلك ، فأنا راجع ، فارجعوا إلى أنفسكم ، هل يصلح لكم قتلي ، أو يحل دمي ؟ ، ألست ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه ؟ أوليس حمزة والعباس وجعفر عمومتي ؟ ألم يبلغكم قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم فيّ وفي أخي : « هذان سيدا شباب أهل الجنة » ؟ .

❁❁❁

فقال شِمْر هو يعبدُ اللّه على حرف إن كان يدري ما يقول فقال عمر : لو كان أمرك إلي ، لأجبت . وقال الحسين : يا عمر ! ليكونن لمّا ترى يوم يسوؤك . اللّهمّ إن أهل العراق غرّوني ، وخدعوني ، وصنعوا بأخي ما صنعوا . اللّهمّ شتِّت عليهم أمرهم ، وأحصِهم عدداً .

فكان أول من قاتل مولى لعبيد اللّه بن زياد ، فبرز له عبد اللّه بن تميم الكلبي ، فقتله والحسين جالسٌ عليه جُبة خز دكناء والنبل يقع حوله فوقعت نبلة في ولد له ابن ثلاث سنين ، فلبس لأمته وقاتل حوله أصحابه حتّى قتلوا جميعا ، وحمل ولده علياً يرتجز :

أنا عليُّ بنُ الحسين بن علي ... نحنُ وبيتُ اللهِ أولى بالنّبي

(١) الكامل لابن الأثير [٤/ ٥٧] .

فجاءته طعنة ، وعطش حسين فجاء رجل بماء فتناوله ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع في فيه ، فجعل يتلقّى الدم بيده ويحمد الله ، وتوجه نحو المسناة يريد الفرات ، فحالوا بينه وبين الماء ورماه رجل بسهم فأثبته في حنكه ، وبقي عامة يومه لا يقدم عليه أحد ، حتّى أحاطت به الرجالة ، وهو رابط الجأش ، يقاتل قتال الفارس الشجاع ، إن كان ليشد عليهم فينكشفون عنه انكشاف المعزي شد فيها الأسد ، حتّى صاح بهم شمر : ثكلتكم امهاتكم ! ماذا تنتظرون به ؟ فانتهى إليه زرعة التميمي ، فضرب كتفه ، وضربه الحسين على عاتقه ، فصرعه ، وبرز سنان النخعي فطعنه في ترقوته وفي صدره ، فخرّ ، ثُمّ نزل ليحتز رأسه ، ونزل خولي الأصبحي ، فاحتز رأسه ، وأتى به عبيد الله بن زياد فلم يعطه شيئا .

قال : ووجُد بالحسين ثلاث وثلاثون جراحة ، وقُتل من جيش عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسا .

قال : ولم يفلت من أهل بيت الحسين سوى ولده عليّ الأصغر ، فالحسينية من ذريته كان مريضا ، وحسن بن حسن بن علي ، وله ذرية وأخوه عمرو ولا عقب له ، والقاسم بن عبد الله بن جعفر ، ومحمّد بن عقيل ، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي ، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين ، وزوجته الرباب الكلبية والدة سكينة وأم محمّد بنت الحسن بن علي وعبيد وإماء لهم .

قال : وأُخذ ثقل الحسين ، وأخذ رجل حلي فاطمة بنت الحسين وبكى فقالت : لم تبكي ؟ فقال : أأسلب بنت رسول الله ﷺ ، ولا أبكي ؟ قالت : فدعه ، قال : أخاف أن يأخذه غيري .

وأقبل عمر بن سعد ، فقال : ما رجع رجل إلى أهله بشر ممّا رجعت به ، أطعت ابن زياد ، وعصيت الله ، وقطعت الرحم . وورد البشير على يزيد ؛ فلمّا أخبره دمعت عيناه ، وقال : كنت أرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين .

وقالت سكينة : يا يزيد ؛ أبنات رسول الله سبايا ؟ قال : يا بنت أخي

هو والله عليّ أشد منه عليك ، أقسمت ولو أن بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه ، ولكنّ فرقت بينه وبينه سمية ، فرحم الله حسيناً عجل عليه ابن زياد ، أما والله لو كنت صاحبه ، ثُمّ لم أقدر على دفع القتل عنه إلّا بنقص بعض عمري ، لأحببت أن أدفعه عنه ، ولوددت أن أتيت به سلمًا . ثُمّ أقبل على عليّ بن الحسين ، فقال : أبوك قطع رحمي ونازعني سلطاني . فقام رجل ، فقال : إن سباءهم لنا حلال ، قال علي : كذبت إلّا أن تخرج من ملتنا . فأطرق يزيد ، وأمر بالنساء ، فأدخلن على نسائه وأمر نساء آل أبي سفيان ، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام ، إلى أن قال : وبكت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فقال يزيد وهو زوجها : حق لها أن تعول على كبير قريش وسيدها .

وقال الفرزدق : لقيت الحسين بذات عرق ، فقال : ما ترى أهل الكوفة صانعين معي ؟ فإنّ معي حملاً من كتبهم ؛ قلت: يخذلونك ، فلا تذهبْ .

وكتب يزيد إلى ابن عباس يذكر له خروج الحسين ، ويقول : نحسب أنّه جاءه رجال من المشرق ، فمنّوه الخلافة ، وعندك منهم خبره ، فإنّ فعل ، فقد قطع القرابة والرحم ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكففْه عن السعي في الفرقة .

فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروجه لأمر تكره ، ولست أَدَعُ النصيحة له .

وبعث حسين إلى المدينة ، فلحق به من خف من بني عبد المطلب ؛ وهم تسعة عشر رجلاً ، ونساء ، وصبيان ، وتبعهم أخوه محمّد ، فأدركه بمكة ، وأعلمه أن الخروج يومه هذا ليس برأي ، فأبي ، فمنع محمّد ولده ، فوجد عليه الحسين ، وقال : ترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه .

وبعث أهل العراق رسلاً وكتباً إليه ، فسار في آله ، وفي ستين شيخاً من أهل الكوفة في عشر ذي الحجة . فكتب مروان إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه : أما بعد : فإنّ الحسين قد توجه إليك ، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب

إلينا من الحسين ، فإياك أن تهيّج على نفسك ما لا يسده شيء .

وكتب إليه عمرو بن سعيد الأشدق : أما بعد ؛ فقد توجه إليك الحسين ، وفي مثلها تعتق أو تسترق .

عن محمّد بن الضحاك ، عن أبيه قال : خرج الحسين ، فكتب يزيد إلى ابن زياد نائبه إن حسيناً صائر إلى الكوفة ، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وأنت من بين العمال ، وعندها تُعتَق ، أو تعود عبداً فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه .

قال : وسرح عمر بن سعد بحريمه وعياله إلى عبيد الله . ولم يكنْ بقي منهم إلّا غلام كان مريضاً مع النساء فأمر به عبيد الله ليقتل ، فطرحت عمته زينب نفسها عليه ، وقالت : لا يقتل حتّى تقتلوني ، فرقَّ لها وجهَّزهم إلى الشام ، فلمّا قدموا على يزيد ، جمع من كان بحضرته ، وهنؤوه ؛ فقام رجلٌ أحمر أزرق ونظر إلى صبية منهم فقال : هبها لي يا أمير المؤمنين ، فقالت زينب : لا ولا كرامة لك ، إلّا أن تخرج من دين الله فقال له يزيد : كُفَّ . ثُمَّ أدخلهم إلى عياله فجهَّزهم وحملهم إلى المدينة [١] .

وعن محمّد بن حسن : لمّا نزل عمر بن سعد بالحسين خطب أصحابه ، وقال : قد نزل بنا ما ترون ، وإنَّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرئت حتّى لم يبق منها إلّا كصبابة الإناء ، وإلّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله ، إني لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا ندماً [٢] .

وعن أبي معشر : عن رجاله قال : قال الحسين حين نزلوا كربلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا : كربلاء . قال: كرب وبلاء . وبعث عبيد الله لحربه عمر بن سعد ، فقال : يا عمر ! اختر مني إحدى ثلاث ؛ إما أن

---

(١) البداية لابن كثير [٨/ ١٩٤] .

(٢) قال الأرناؤوط : الخبر في « الطبراني » برقم [٢٨٤٢] ، و« الحلية » [٢/ ٣٩] ، و « الطبري » [٥/ ٤٠٣، ٤٠٤] .

تتركني أرجع ، أو فسيرني إلى يزيد ، فأضع يدي في يده فإنَّ أبيت فسيرني إلى الترك ، فأجاهد حتَّى أموت فبعث بذلك إلى عبيد الله ، فهمَّ أن يسيرُه إلى يزيد ، فقال له شمر بن ذي الجوشن : لا إلَّا أن ينزل على حكمك ، فأرسل إليه بذلك فقال الحسين والله لا أفعل وأبطأ عمر عن قتاله فبعث إليه عبيد الله شمر بن ذي الجوشن فقال : إن قاتل وإلَّا فاقتله ، وكنَّ مكانه [١] وكان من جند عمر ثلاثون من أهل الكوفة ، فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلون واحدة ! وتحولوا إلى الحسين ، فقاتلوا [٢] .

وعن عبَّاد بن العوَّام ، عن حصين قال : أدركت مقتل الحسين فحدثني سعد بن عبيدة ، قال : رأيت الحسين وعليه جبة برود ، رماه رجل يقال له عمرو بن خالد الطهوي بسهم ، فنظرت إلى السهم في جنبه [٣] .

وقال عطاء بن مسلم الحلبي : قال السدي : أتيت كربلاء تاجراً ، فعمل لنا شيخ من طي طعاماً فتعشينا عنده ، فذكرنا قتل الحسين ، فقلت : ما شارك أحد في قتله إلَّا مات ميتة سوء . فقال : ما أكذبكم ، أنا ممن شرك في ذلك فلم نبرح حتَّى دنا من السراج وهو يتقد بنفط ، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه ، فأخذت النار فيها فذهب يطفئها بريقه فعلقت النار في لحيته فعدا ، فألقى نفسه في الماء ، فرأيته كأنه حممة [٤] .

عن عمار بن أبي عمار ؛ قال : سمعت أم سلمة تقول سمعت الجن يبكين على الحسين وتنوح عليه [٥] .

عن أبي جناب الكلبي قال أتيت كربلاء ، فقلت لرجل من أشراف العرب : بلغني أنكم تسمعون نوح الجن . قال : ما تلقى حراً ولا عبداً إلَّا

---

(١) تهذيب ابن عساكر [٤/٣٣٨] .
(٢) تهذيب ابن عساكر [٤/٣٣٨] .
(٣) تهذيب ابن عساكر [٤/٣٣٨] .
(٤) تهذيب ابن عساكر [٤/٣٤٣] .
(٥) في معجم الطبراني [٢٨٦٧] ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي [٩/١٩٩] .

obeikandl.com

أخبرك أنّه سمع ذلك قلت فما سمعت أنت ؟ قال : سمعتهم يقولون :

مسحَ الرسولُ جبينَه فله بريقٌ في الخدود
أبوَاهُ من عُليا قريشٍ وجدُّه خيرُ الجدود[1]

عن يونس بن حبيب قال : لمّا قتل عبيد اللّه الحسين وأهله . بعث برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرَّ بقتلهم أولا ، ثُمّ لم يلبث حتّى ندم على قتلهم ، فكان يقول : وما عليّ لو احتملت الأذى ، وأنزلت الحسين معي وحكمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهنٌ ، حفظاً لرسول اللّه ﷺ ورعاية لحقه . لعن اللّه ابن مرجانة - يعني عبيد اللّه - فإنّه أخرجه ، واضطره ، وقد كان سأل أن يخلي سبيله أن يرجع من حيث أقبل ، أو يأتيني ، فيضع يده في يدي ، أو يلحق بثغر من الثغور ، فأبى ذلك عليه وقتله فأبغضني بقتله المسلمون ، وزرع لي في قلوبهم العداوة .

وعن شهر بن حوشب ، قال كنت عند أم سلمة زوج النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلم حين أتاها قتل الحسين ، فقالت : قد فعلوها ؟ ! ملأ اللّه بيوتهم وقبورهم ناراً ووقعت مغشية عليها ، فقمنا .

وعن أبي حمزة بن يزيد الحضرمي قال : رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهنّ ، يقال لها : ريا ؛ حاضنة يزيد ، يقال : بلغت مئة سنة . قالت : دخل رجل على يزيد ، فقال : أبشر فقد أمكنك اللّه من الحسين ، وجيء برأسه ، قال : فوضع في طست ، فأمر الغلام ، فكشف ، فحين رآه خمر وجهه كأنه شم منه فقلت لها : أقرع ثناياه بقضيب قالت : إي والله .

ثم قال حمزة وقد حدثني بعض أهلنا أنّه رأي رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام .

وحدثتني ريا ؛ أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتّى ولي سليمان فبعث فجيء به وقد بقي عظما أبيض ، فجعله في سفط ، وطيّبه ، وكفّنه ،

---

(١) في معجم الطبراني [٢٨٦٥، ٢٨٦٦] وقال الهيثمي فيه « المجمع [٩/ ١٩٩] » : فيه من لم أعرفه ، وأبو جناب مدلس ، وهو في تهذيب ابن عساكر [٤/ ٣٤٤] ، والبداية [٨/ ٢٠٠] .

ودفنه في مقابر المسلمين . فلمّا دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه فالله أعلم ما صنع به وذكر باقي الحكاية وهي قوية الإسناد .

وقال اللَّيث : أبي الحسين أن يستأسر حتَّى قتل بالطف ، وانطلقوا ببنيه علي ، وفاطمة ، وسكينة إلى يزيد ، فجعل سكينة خلف سريره لئلا ترى رأس أبيها وعلي في غل ، فضرب على ثنيتي الحسين ، وتمثل بذاك البيت .

فقال علي : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾ الآية [الحديد : ٢٢] .

فثقل على يزيد أن تمثل ببيت ، وتلا علي آية . فقال بل : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشوري: ٣٠] .

فقال : أما والله لو رآنا رسول الله ﷺ لأحب أن يخلينا . قال : صدقت ، فخلوهم . قال : ولو وقفنا بين يديه لأحب أن يقربنا . قال : صدقت ، قربوهم . فجعلت سكينة وفاطمة تتطاولان لتريا الرأس وبقي يزيد يتطاول في مجلسه ليستره عنهما ثُمّ أمر لهم بجهاز ، وأصلح آلتهم ، وخرجوا إلى المدينة (١) .

وعن يزيد بن أبي زياد ، قال : لمّا أوتي يزيد برأس الحسين ، جعل ينكت سِنَّه ، ويقول : ما كنت أظن أبا عبد الله بلغ هذا السن ، وإذا لحيته ورأسه قد نصل من الخضاب .

وممن قُتل مع الحسين : إخوته الأربعة ؛ جعفر ، وعتيق ، ومحمَّد ، والعباس الأكبر . وابنه الكبير علي ، وابنه عبد الله ، وكان ابنه علي زين العابدين مريضاً ، فسلم وكان يزيد يكرمه ويرعاه .

وقُتل مع الحسين ، ابن أخيه القاسم بن الحسن ، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، ومحمَّد وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

عن محمَّد بن علي عن أبيه ، قال : قُتل الحسين ، وأدخلنا الكوفة فلقينا رجل فأدخلنا منزله ، فألحفنا فنمت فلم أستيقظ إلّا بحس الخيل في

(١) في معجم الطبراني [٢٨٠٦] .

الأزقة ، فحملنا إلى يزيد ، فدمعت عينه حين رآنا ، وأعطانا ما شئنا ، وقال : إنّه سيكون في قومك أمور ، فلا تدخل معهم . فلمّا كان يوم الحرة ما كان ؛ كتب مع مسلم بن عقبة بأماني ، فلمّا فرغ من القتال مسلم ، بعث إلي فجئته فرمى إلي بالكتاب ، وإذا فيه: استوصِ بعلي بن الحسين خيراً ، وإن دخل معهم في أمرهم ، فأمّنه ، واعفُ عنه وإن لم يكنّ معهم ، فقد أصاب وأحسن . فأولاد الحسين هم ؛ علي الأكبر الذي قُتل مع أبيه ، وعلي زين العابدين ، وذريته عدد كثير ، وجعفر ، وعبد الله ولم يعقبا . فولد لزين العابدين الحسن والحسين ماتا صغيرين ، ومحمّد الباقر ، وعبد الله ، وزيد ، وعمر ، وعلي ، ومحمّد الأوسط ولم يعقب ، وعبد الرحمن ، وحسين الصغير ، والقاسم ولم يعقب .

❁❁❁

obeikandl.com